الجـــمهوريـــــة الـــجزائرية الـــديمقراطية الشـــعبية
وزارة التـــــعليم الـــعالي والـبحث العـــــلمي
جامعة الشهيد حمَّة لخضر– الوادي

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية
قسم : العلوم الإنسانية

موانـئ المغرب الأوسط في كتابات الرحالة

دراسة في النشأة والأهمية

مـذكرة مكملة تدخل ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر

في التاريخ تخصص تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط

إعداد الطالبين
✍ غربي سليمان
✍ سمينة حمزة

إشراف الدكتور:
بن خيرة أحمد

لجنة المناقشة

الأستاذ	الرتبـة	الصفـة	المؤسسـة الأصلية
أحمد بن خيرة	دكتور	مشرفا ومقررا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-
علال بن عمر	دكتور	عضو مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-
عمار غرائسة	دكتور	عضو مناقشا	جامعة الشهيد حمه لخضر- الوادي-

السنة الجامعة : 1441 - 1442 هـ / 2020 – 2021 م

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

صدق الله العظيم

شكر وعرفان

وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ

سورة إبراهيم ، الآية 07

وقال رسول الله "لا يشكر الله لا يشكر الناس"

بعد الثناء والحمد لله الذي هدانا ووفقنا إلى طريق النجاح والسبيل القويم ، لا يسعنا إلا أن نتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان وخالص تقديرنا إلى الأستاذ المشرف "أحمد بن خيرة" على ما بذله معنا من متابعة إشراف ، ونسأل المولى عز وجل أن يجازيه نيابتا عنا بمثل ما قدم وأكثر .

كما لا يفوتنا أن نقدم شكرنا الخالص إلى كل من مد لنا يد العون من قريب أو بعيد ، ولو بكلمة دعاء ، وإلى كل من أضفى بلمسته في تنظيم وطباعة هذه المذكرة .

وإلى كل هؤلاء شكراً جزيلاً . . . .

الإهـــــــــــــداء

إلى من جرع الكأس فارغاً ليسقيني قطرة حب
إلى من كلّت أنامله ليقدم لنا لحظة سعادة
إلى من حصد الأشواك عن دربي ليمهد لي طريق العلم
إلى القلب الكبير **والدي العزيز**

إلى من أرضعتني الحب والحنان
إلى رمز الحب وبلسم الشفاء
إلى القلب الناصع بالبياض **والدتي** الحبيبة

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة والنفوس البريئة إلى رياحين حياتي
إخوتي و**أخواتي**

الآن تفتح الأشرعة وترفع المرساة لتنطلق السفينة في عرض بحر واسع مظلم هو بحر الحياة وفي هذه الظلمة لا يضيء إلا قنديل الذكريات ذكريات الأخوة البعيدة إلى الذين أحببتهم وأحبوني أصدقائي

إلى الذين بذلوا كل جهدٍ وعطاء لكي أصل إلى هذه اللحظة أساتذتي الكرام وخاصة أستاذتي الأفاضل في المركز الجامعي بالوادي
إليكم جميعاً أهدي هذا العمل.

سليمان وحمزة

ثبت المختصرات

الرمز	المعنى
د ت	دون تاريخ
د ط	دون طبعة
ص- ص	صفحات
ت	توفي
تح	تحقيق
تع	تعليق
ج	جزء
ط	طبعة
ص	صفحة
ع	عدد
مج	مجلد
تر	ترجمة

مقدمة

شهد المغرب الأوسط خلال تاريخه تعاقب عدة دويلات على حكمه تركت جميعها بصمات في مختلف الجوانب ، واشتركوا في أنهم تمكنوا من توطيد علاقات سياسية وثقافية واجتماعية وبالأخص اقتصادية مع الدول المجاورة نظرا لما تمتعت به من مراس وموانئ مهمة اعتبرت كشريان حياة لهذه الدول.

ساهمت هذه الموانئ في رسم خريطة علاقات جديدة بين المغرب الأوسط والدول التي تربطها بها مسالك وممرات بحرية ومنه لفهم تأثيرات الموانئ في الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية ، ارتأينا البحث في موضوع : **موانئ المغرب الأوسط من خلال كتب الرحالة دراسة في النشأة والأهمية.**

1- حدود الدراسة الزمانية والمكانية:

لقد تناولنا موضوع موانئ المغرب الأوسط في كتابات الرحالة دراسة في النشأة والأهمية في فترة العصر الوسيط دون تحديد إطار زماني ضيق ، إذ لا يمكن فهم نشأة وأهمية الموانئ إلا من خلال نظرة شاملة لتطور الموانئ وليس في نطاق وحدة تابعة لدولة في فترة زمنية معينة وتوجه مذهبي معين.

2- طرح الإشكالية :

تتجلى إشكالية البحث في : ما الوصف الذي قدمه الرحالة و الجغرافيين المغاربة لموانئ المغرب الأوسط؟

وقصد التعرف على حيثيات الموضوع أكثر لا بد من نعزز ذلك من خلال طرح التساؤلات التالية :

- ما هي أهم موانئ المغرب الأوسط؟
- كيف كانت تصنيفات الموانئ وما هي تقنيات الملاحة البحرية؟
- فيما تمثلت الأهمية التجارية وما هي الطرق البحرية بين الدول المجاورة و موانئ المغرب الأوسط وما هي أهم الصادرات والواردات والسلع المتبادلة؟
- كيف كان التأثير السياسي والعسكري لموانئ المغرب الأوسط ؟

- فيما تجلت أهمية الموانئ ثقافيا واجتماعيا؟

3- دوافع اختيار الموضوع :

الرغبة في دراسة تاريخ المغرب الإسلامي خاصة فيما يتعلق بالمغرب الأوسط كونه جزء مهم من تاريخ البلاد الإسلامية ووطننا الغالي بالخصوص.

إلقاء نضرة على جانب مغيب في الدراسات التاريخية وهو الجانب الاقتصادي.

4- المنهج المتبع :

لقد اقتضت طبيعة الموضوع إتباع منهجية تاريخية متنوعة بتنوع مضامين الفصول حيث اتبعنا المنهج التاريخي الذي يعتمد على التحليل واستقراء نصوص الرحلة وتقسيرها ، والمنهج الوصفي من أجل وصف الموانئ ووضعها الاقتصادي وأهميتها العسكرية

5- محتوى الموضوع:

بفضل المادة التاريخية التي تم جمعها قمنا بدراسة الموضوع ولم شتاته في مقدمة اشتملت على خطة البحث والمنهج المتبع الذي سلكناه في معالجة الموضوع وأتبعنا ذلك بعرض أهم كتب الرحلات التي اعتمدناها ثم قسمنا البحث إلى ثلاث فصول مسبوقة بفصل تمهيدي بينا فيه حدود المغرب في كتب الجغرافيا وفي الكتابات التاريخية وتحدثنا عن السواحل في المغرب الأوسط مميزاتها وخصائصها وفي الفصل الأول عرفنا الرحلة لغة واصطلاحا وعرجنا على الرحلة المغربية وبينا خصائصها وبواعثها وأنواعها وقيمتها وترجمنا لبعض الرحالة المغاربة ومؤلفاتهم أما في الفصل الثاني تحدثنا عن موانئ المغرب الأوسط في ترتيب هجائي،وبينا أصناف الموانئ وأساليب الإبحار وتقنياته، وفي الفصل الثالث وضحنا الأهمية الاقتصادية والعسكرية والسياسية والثقافية الاجتماعية للموانئ وذيلنا البحث بخاتمة لخصنا فيها محتوى الموضوع .

6- المصادر والمراجع:

وللإلمام بالموضوع تطلب الاعتماد على مجموعة من المصادر والمراجع نذكر بعضها بحسب أهميتها على النحو التالي:

- كتاب المسالك والممالك للبكري قدم لنا هذا الكتاب تعاريف لبعض المناطق والمدن ببلاد المغرب ووضح لنا الطرق التجارية ، كما أشار لبعض المعاملات التجارية.
- كتاب صورة الأرض لابن حوقل النصيبي وهو ابرز كتب الجغرافية الذي اختار التجارة كوسيلة لمعرفة الأقاليم حيث يعتبر من أشهر الكتب التي صنف فيها الأقاليم.
- كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار لمحمد عبد المنعم الحميري يعتبر المصدر الجغرافي المهم الذي ضم معظم الأعلام التي رتبها حسب الحروف الأبجدية.
- كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق لأبي عبد الله محمد الشريف الإدريسي وهو من المصادر المهمة الذي يحتوي على أهم المراسي والطرق التجارية البحرية .
- كتب " ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأعظم" لعبد الرحمن ابن خلدون حيث يتضمن عدة أجزاء تتمحور حول الحياة السياسية والاقتصادية لبلاد المغرب الأوسط.
- كتاب الحسن الوزان وصف الأرض حيث يقدم لنا صورة واضحة وكاملة لمدن المغرب الأوسط الساحلية في رحلة بدأها من فاس إلى إفريقية حيث أبرز تفاصيل عمرانية تهم التجارة والأسواق والموانئ.
- رحلة العبدري : لأبي عبد الله محمد بن محمد وإن كانت رحلة هذا الأخير لم تكن رحلة بأتم معنى الكلمة فلم لا تمدنا بمعلومات وافية عن المغرب الأوسط .
- إضافة إلى بعض المراجع التي اعتمدناها في الدراسة مثل كتاب الشوابكة نوال عبد الرحمان أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري وكتاب الشاهدي الحسن: أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني.

7- الصعوبات

وقد واجهتنا خلال إنجاز هذا البحث المتواضع صعوبات كثيرة منها:

- أغلب الرحلات لا تمدنا بمعلومات غزيرة لأنها كانت رحلات بهدف الحج أو السياحة أو التنقل مع الجيش أو أنها كانت كتابات أدبية تتحدث عن الخوف من مخاطر البحر والحالة النفسية لهم أو الجهود المبذولة لإنقاذ المراكب الأمر الذي دفعنا للاعتماد عن الرحلات ذات الطابع الجغرافي كرحلة الإدريسي وابن حوقل النصيبي.
- قلة المصادر المتخصصة من جهة واستخراج ما تيسر من معلومات من جهة أخرى ، مع صعوبة قراءة بعض المصادر وعدم إحتوائها على فهارس.
- شح المصادر التي تتناول الموضوع بشكل شامل مما أفضى صعوبة في جمع المعلومات ضف إلى تشابه المصادر والمراجع في المعلومات التي تقدمها.

الفـــــصل التـــــمـــهـــيدي

المغرب الأوسط في الكتابة الجغرافية والكتابة التاريخية

أ –المغرب الأوسط في الكتابات الجغرافية

ب – المغرب الأوسط في الكتابة التاريخية .

ج– خصائص ومميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط:

أ- المغرب الأوسط في الكتابات الجغرافية :

لم يكن لمصطلح المغرب الأوسط وجود في الكتابة الجغرافية قبل عصر البكري الأندلسي ، فأغلب ما كتبه الجغرافيون عن ممالك المغرب الإسلامي وأقاليمه ، كان يستند في معظمه على معيار سياسي صرف تعبيرا عن الحالة السياسية التي كانت سائدة فيه سواء في فترة انقسامه إلى إمارات ودويلات مع الأغالبة في إفريقية والرستميون في تيهرت والأدارسة في المغرب الأقصى والمدراريين في سجلماسة[1] أو في فترة الأغالبة العبيدية حين استولى الفاطميون على إقليم الإمارات المذكورة .

أما البكري (ت487هـ /1094م)، الجغرافي الأندلسي الشهير فهو أول من استعمل مصطلح المغرب الأوسط ، بعد توضيحه لحدود فضاء المغرب الواسع الممتدة من برقة إلى طنجة ، ثم قسمه إلى ثلاث مناطق هي: إفريقية وقاعدتها القيروان، والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان والمغرب الأقصى الذي يمتد من غرب تلمسان إلى البحر المحيط[2].

إن بروز المغرب الأوسط كمصطلح جديد يعبر عن مجال جغرافي ما ، يطرح عدة إشكالات وتساؤلات على أي أساس وظف البكري هذا المصطلح ؟ ولماذا تلمسان قاعدته دون غيرها ، إن المتمعن في نص البكري حول مدينة تلمسان يتبين أن اصطلاحه ذاك على معيار قبلي في قوله "هي دار مملكة زناته وموسطة قبائل البربر" [3] .

أما الإدريسي (ت 560هـ/1164م) فيذكر أن المغرب الأوسط يقع في الجزء الأول من الإقليم الثالث وقاعدته بجاية فيقول " مدينة بجاية في وقتنا هذا (أي النصف الثاني من القرن

[1] – الإصطخري أبو القاسم محمد بن إبراهيم (ت340هـ/951م): المسالك والممالك ، تح(محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال) ، دار القلم ، القاهرة ، (د ت) ، ص ص 32 ، 33 .

[2] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق ، (د ت) ، ص75 .

[3] – نفسه : ص ص 76 ، 77 .

السادس) مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد[1] ثم يذكر بعض مدن المغرب الأوسط مثل باغاي وقسنطينة وطبنة ونقاوس ومقرة والمسيلة والقلعة وتدلس وجزائر بني مزغنة وبرشك وتنس ، أما تلمسان فلم يدرجها ضمن مدن المغرب الأوسط وقال عنها " مدينة تلمسان قفل مدن المغرب الأوسط وهي على رصيف للداخل والخارج منها "[2] .

فالإدريسي في طرحه هذا اعتمد المعيار السياسي في توضيحه لحدود الأقاليم والممالك ، فالمغرب الأوسط عنده هو المجال الخاضع للحكم الحمادي (395-547هـ / 1004-1152م) الممتد من بونه شرقا إلى سويسرات (سيق حاليا) غربا ومن الساحل المتوسط شمالا إلى ورجلان جنوبا [3].

في حين يقسم الزهري (ق6هـ/ 12م) الجغرافي الأندلسي بلاد المغرب إلى ثلاث أصقاع إفريقية والمغرب الأقصى والسوس الأقصى ، ويذكر أن إفريقية تسكنها قبائل من البربر مثل صنهاجة وزناته وبرغواطة ومن مدنها الساحلية طرابلس وتونس وبونه وبجاية وجزائر بني مزغنة وبرشك ، ومن مدن التل قسنطينة والقلعة ومليانه وزواوة ، أما الصقع الثاني أي المغرب الأقصى فيذكر أن أول مدينه تنس وتليها وهران وهنين ومليلية ، ومن أهم مدنه الداخلية تيهرت وتلمسان وغيرهما [4]، فالزهري هنا يعبر عن حالة المغرب السياسية السائدة في القرن السادس في ظل الحكم الموحدي ،الذي امتد من طرابلس حتى البحر المحيط لذا لا نجد أثرا لمصطلح المغرب الأوسط في كتابه .

---

[1] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر، 2002 ، ص 260

[2] – المرجع نفسه: ،ج1، ص ص ، 224 – 250.

[3] – بلغيث محمد الأمين: نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 ، ص61 .

[4] – الزهري أبو عبد الله محمد بن أبي بكر(كان حيا سنة 541هـ/1154م): كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د ت) ص ص ، 107 – 114 .

أما صاحب كتاب "الاستبصار "المنسوب لابن عبد ربه الحفيد (من ق 6هـ/12م) فيقسم المغرب إلى عدة أقاليم : إفريقية وأول مدنها طرابلس ، والمغرب الأوسط وقاعدته تلمسان وينتهي إلى مدينة أجر سيف على وادي ملوية ، والمغرب أي الأقصى ويشمل ما وراء وادي ملوية حتى البحر المحيط[1].

أما ياقوت الحموي (ت 626هـ/1228م) فيقسم المنطقة بعد مصر إلى : إفريقية والمغرب فإفريقية تمتد من برقة إلى بجاية ، والمغرب يمتد من مليانة إلى جبال السوس المحاذية للمحيط الأطلسي والأندلس جزء منه[2] ، فياقوت الحموي معاصر للدولة الموحدية ،وكان تقسيمه على أساس سياسي يعبر عن أقصى اتساع بلغه الموحدون واستطاعوا أن يفرضوا سلطتهم عليه.

أما ابن سعيد المغربي (ت685هـ/1286م) فيقسم المغرب إلى عدة أجزاء كذلك ، ويذكر أن تلمسان تقع في الجزء الأول من مراكش وفاس والأندلس، أما المغرب الأوسط ، فيقع حسبه في الجزء الثاني وقاعدته بجاية ، وهو يمتد شرقا حتى مدينة قسنطينة ، أما مدينة بونه فهي حد سلطنة إفريقية الحفصية على الساحل ، ومن مدن المغرب والوسط في هذا الجزء يذكر؛ مستغانم وتنس وبني مزغنة وتدلس وغيرها [3].

إن ابن سعيد بالرغم من أنه قد عاش فترة انقسام المغرب إلى ثلاث كيانات سياسية ، حفصية ومرينية وزيانية إلا أنه لم يبن تقسيمه على أساس سياسي كما كان متوقعا بل نقل عن غيره ممن سبقه كالإدريسي على وجه الخصوص .

---

[1] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح(سعد زغلول عبد الحميد) ، وزارة الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد (د ت) ، ص ص . 110 ، 170 ، 176 .

[2] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م): معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، 1977 ، ج1، ص228 –ج5 ، ص161 .

[3] – ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت685هـ/1285م): الجغرافيا ، ط2 ، تح (إسماعيل العربي) ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 ، ص ص ، 40–42 .

أما الحسن الوزان المعروف بليون الإفريقي (توفي بعد 957هـ/ 1550م) فيقسم المغرب المعروف عنده ببلاد البربر إلى أربعة ممالك هي مملكة مراكش ومملكة فآس ومملكة تلمسان التي تضم الجبال والتنس والجزائر ، ثم مملكة تونس التي تضم إقليم بجاية وقسنطينة والزاب وطرابلس وغيرها [1]، ولا شك أنه وضع هذا التقسيم على أساس سياسي بذكره لتلمسان كمملكة 85مستقلة تحت سلطة بني عبد الواد في حين كان إقليم بجاية محل نزاع وصراع بين الحفصيين و الزيانيين ، يخضع للأقوى منهما .

فالخلاصة التي نصل إليها بعد هذا العرض ، هي أن مصطلح المغرب الأوسط تأخر ظهوره إلى غاية القرن الخامس هجري ، وأول من أشاع استعماله في المصنفات الجغرافية هو البكري الأندلسي تعبيرا عن كيان قبلي مركز ثقله قبيلة زناته البربرية ،أما مدلوله في المصنفات الجغرافية الأخرى ، فهو كيان سياسي لم يعرف حدودا رسمية إذ كان محل صراعات وأطماع توسعية لمختلف القوى السياسية التي تعاقبت على حكمه .

ب- المغرب الأوسط في الكتابة التاريخية .

فإذا كانت إشكاليتي مصطلح وحدود المغرب الأوسط بهذه الصورة الضبابية المضطربة في مدونات الجغرافيا الوصفية فما هي دلالتهما في الأسطوغرافيا[2] التاريخية .

إن المصادر التاريخية التي تناولت ماضي المغرب الإسلامي لم تعتني بجغرافية البلاد بنظرة واعية فباستثناء ما ذكره ابن خلدون لم ترد إلا إشارات محتشمة عند بقية المؤرخين فعبد الواحد المراكشي (ت 647هـ /1248م) لم يستعمل مصطلح المغرب الأوسط في تاريخه ، حين قسم بلاد المغرب إلى قسمين إفريقية والمغرب وحد إفريقية من جهة الغرب هي مدينة

[1] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): وصف إفريقيا ، تر(محمد حجي ومحمد الأخضر)، ط2 ، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1983 ، ،ص 28 ،30-31 .

[2] – **الأسطوغرافيا** : كلمة تعني الكتابة التاريخية والدراسة التي تتناول هذه الدراسة كمتون متماسكة لا كمجرد مواد مصدرية ، أنظر السبتي عبد الواحد : الإسطوغرافيا والأزمة (دراسات في الكتابة التاريخية والثقافية) ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1994 ، ص8 .

قسنطينة وأول بلاد المغرب قرية صغيرة اسمها ميلة[1] ، فمن الواضح أن هذا المؤرخ عاش في الفترة التي سيطر فيها الموحدون على فضاء المغرب الإسلامي لأنه يعبر بوضوح عن تلك الحالة السياسية .

أما عبد الرحمن بن خلدون فيذكر أن قاعدة المغرب الأوسط هي تلمسان ثم يعدد لنا بعض المدن كالجزائر و بجاية وبونه[2] فهو لم يستند في تحديده لمجال المغرب الأوسط على الحالة السياسية ، بل اعتمد على تجمعات القبائل البربرية داخل هذا الكيان الجغرافي.

فقبيلة زناته كانت مستقرة في المنطقة الممتدة ما بين وادي ملوية غربا ، إلى وادي الشلف والزاب شرقا ومن ساحل شرشال ووهران شمالا إلى إقليم تيهرت جنوبا ، أما صنهاجة فهي تقطن الأقاليم الممتدة من الجزائر غربا إلى بجاية شرقا ، وكتامة وعجيسة وهوارة مضاربها منطقة جيجل وبونه وقسنطينة والأوراس ، وما وراء حدود إفريقية إلى طرابلس[3]

إن الطرح الخلدوني القائم على المعيار القبلي هو طرح منطقي إلى أبعد الحدود وهذا بالنسبة لمرحلة ما قبل القرن الخامس هجري ، إذ عرف المغرب في النصف الثاني من هذا القرن بتغريبه بني هلال[4] وبني سُليم الذي استعملهم المستنصر الفاطمي (427- 487هـ/ 1035-1094م) كرأس حربة في الدولتين الزيرية والحمادية ، بعد خروجهما عن طاعته فهذه الهجرة غيرت من تراتبية الهرم الديمغرافي للمغرب الأوسط باعتبارها عنصراً اثنيا جديدا زاحم

[1] – المراكشي عبد الواحد بن علي التميمي محي الدين (ت647هـ/1249م):المعجب في تلخيص أخبار المغرب ،ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 ، ص 256.

[2] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): المقدمة ، ط1 ، تح(محمد الاسكندراني) ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2006 ، ص 65 .

[3] – نفسه : ص ص ، 203 – 204 .

[4] – **بنو هلال:** نسبة إلى هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية ، أنظر ابن سلام : كتاب النسب ، مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر ، بيروت ، 1989 ، ص263

بعض القبائل البربرية في مناطق استقرارهم غير أن ابن خلدون لم يهمل ذلك أيضا بل وضح لنا مواطن انتشار القبائل العربية في المغرب

فرضا إذا اعتمدنا في التحديد الجغرافي للمغرب الأوسط على الطرح السياسي ، فإنه لا وجود لهذا الكيان في العهد الموحدي ، باعتبار أن المغرب ككل لسلطة مركزية واحدة ، إلا أن المغرب الأوسط ضل موجودا في تلك الفترة فلم يدخله ابن حماد البرنسي كما نقل عنه ابن عذارى اعتباطا ضمن أقاليم المغرب ، بل بعين المؤرخ الذي يعي بوضوح أن السلطة السياسية لا تلغي وجود كيان جغرافي قائم بذاته بمجرد أنه بعيد عن السلطة المركزية وكرسي الملك .

وإذا اتبعنا الطرح السياسي في عصر انقسام المغرب إلى كيانات مستقلة : السلطنة الحفصية والإمارتين الزيانية والمرينية ، فإن المغرب الأوسط تجلت حدوده بوضوح عندما بلغت الإمارة الزيانية أقصى اتساع لها إذ امتدت من نهر ملوية إلى بجاية وقسنطينة شرقا ، وجنوب الصحراء ومن الجنوب الغربي إقليم فيجيج[1] ومن الجنوب الشرقي بلاد مصعب الإباضية.

هذا في فترة قوة بني عبد الواد ، أما في مرحلة ضعفهم المتزامنة مع التدخل المريني في المغرب والتدخل الحفصي في الشرق .

فمن غير المعقول أن نعتمد الطرح السياسي كمعيار نحدد به جغرافية المغرب الأوسط لأن المغلوب يبقى العنصر السائد في مجاله الجغرافي ، ولا يتبع الغالب إلا ولاءً أو ضعفا ، ولهذا بالرغم من فترات القوة والضعف التي انتابت المغرب الأوسط ، فقد ظل المغرب موجودا أرضا وشعبا بحدوده الغربية والشرقية ، دون أن تكون له سلطة سياسية موحدة[2].

[1] – فجيج أو فكيك : عبارة عن ثلاث قصور وسط الصحراء بها عدد كبير من النخيل وتبعد عن سلجماسة بنحو مائتين وخمسين ميلا أنظر الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2 ، ص 132 ،133 .

[2] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983، ج 6 ، ص ص ، 699،700.

ج- خصائص ومميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط:

ساهمت طبوغرافية الساحل المتوسطي للمغرب الأوسط في تنوع الوحدات الطبيعية من رؤوس وخلجان ومصبات وأنهار ولعبت دورا في استقرار في استقرار وجذب السكان إلى المنطقة وممارستهم لمختلف الأنشطة ونظرا لوقوع المغرب الأوسط في شمال القارة ومقابلة ساحله للساحل الأوروبي وتوسطه ساحل المغربين الأقصى والأدنى جعله يكتسي أهمية قصوى بالنظر لما يمثله من إمكانيات واسعة للاتصال الخارجي بعيدا عن ضغوط الحدود القارية و البرية.

وتميزت الطبيعة في المغرب الأوسط بمقومات أساسية أهلته للقيام بدور بحري هام ، فامتداد السواحل على شريط مهم ، دفع السكان نحو النشاط البحري والتجاري ، كما زخر هذا الشريط الساحلي بعدة رؤوس وخلجان وجزر إضافة إلى غنى غابات المنطقة بمختلف أنواع الخشب من أجل صناعة المراكب[1].

والشريط الساحلي هو الإقليم الممتد على مسافة تقدر بـ1200كلم[22] من مرسى الخزر إلى مرسى تابحريت[3]، ورغم ضيق الشريط الساحلي إلا أنه يحتوي على مظاهر سطحية متباينة ساهمت في توفير جو حسن للملاحة والأنشطة البحرية ، كما كان له دور عائق ومثبط لعمل الإنسان في بعض الحالات .

وعموما يتميز الشريط الساحلي للمغرب الأوسط بتعرجه وذلك نتيجة طبيعته الصخرية الصلبة، إضافة إلى تعدد الخلجان، رغم صغرها باستثناء خليج بونة الذي يعتبر من أكبر

[1] – عشي علي : التوجه البحري للمغرب الأوسط ،وأثره على التجارة والمواصلات ،(2- 10 هـ/8-16م) ، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط) تحت إشراف : مسعود مزهودي ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة باتنة ، 2017/2016، ص 38.

[2] – الميلي مبارك : تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تص(محمد الميلي) ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989،ص48.

[3] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): المصدر السابق ، ص534.

خلجان المغرب الأوسط،[1] التي تنتهي جوانبها برؤوس داخلة في البحر، إضافة إلى طغيان الطابع الجبلي على كامل ساحل هذا الإقليم الذي اتخذ فيه السكان ملاجئ طبيعية خلال مختلف الفترات الوسيطية.[2]

هذه المشاهد الطبيعية لاحظتها كتب الجغرافيا والرحلات الوسيطة وأشارت إليها خلال وصفها وركزت في بعض الأحيان على وصف شكلها العام الملفت للانتباه، رغم التغير الطفيف عند مقارنة الفترة الوسيطة بالعصر الحالي، حيث نجد اختفاء بعض الجزر كالجزر التي سميت عليها مدينة الجزائر، والحزيرة المقابلة لميناء تنس ، وهي الآن مقام عليها كاسرة للأمواج تحمي الميناء، وذلك بسبب طغيان المياه أو بعض الظواهر الطبيعية كالزلازل والعواصف، أو اختفاء جزيرة مرسى البطال " تيبازة حالية ."

ويؤكد ذلك صاحب الاستبصار عند حديثه عن الساحل الغربي للمغرب الأوسط وبالضبط عن مدينة ومرسى ترنانا بقوله "وكانت في سالف الأزمان آهلة، كثيرة الخصب، مثل مدينة تامجريت " تابحريت" ، وهي على الساحل"[3]

كما أنه تشكلت أمام سواحل المغرب الأوسط عدة جزر نظرا لطابعه الصخري، وقد لفت ذلك انتباه الجغرافيين والرحالة خلال العصر الوسيط، الذين أشاروا إلى عدد منها مثل جزيرة المزمة، وجزائر العافية، وجزائر بني مزغنا، وجزائر الحمام،[4] وجزيرة أرشقول"أرجكوك"، وجزيرة تنس، وجزيرة عمر وجزيرة جوبة وجزيرة جنابية وجزيرة وقور، و جزيرة سطفلة، وجزيرة القشقار التي تبعد عن الوردانية بثمانية أميال.

---

[1] – حليمي عبد القادر : جغرافية الجزائر، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1968،ص41.

[2] – عشي علي : المرجع السابق ،ص39.

[3] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، ص135.

[4] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): صورة الأرض،مكتبة دار الحياة ، لبنان ، 1992، ص79.

وتجدر الإشارة إلى أن تلك الجزر لعبت دور المرشد والمنارة والموجه ومكان الاستراحة إلى جانب الحصون التي تقام بها و رباطات المراقبة، ومنها ما تحول إلى موانئ أو كواسر طبيعية للأمواج والرياح التي تصيب سواحل المغرب الأوسط " .

ومما يراعي في البلاد الساحلية التي على البحر، أن تكون في جبل، أو تكون بين أمة من الأمم موفورة العدد، تكون صريخا للمدينة متى طرقها طارق من العدو، والسبب في ذلك أن المدينة إذا كانت حاضرة البحر، ولم يكن بساحتها عمران للقبائل أهل العصبيات، ولا موضعها متوعر من الجبل، كانت في غرة للبيات، وسهل طروقها في الأساطيل البحرية على عدوها وتحيفه لها . وهذه كالإسكندرية من المشرق، وطرابلس من المغرب، وبونة وسلا " [1]

وقد أفرد البكري عنوانا خاصا للحصون وذكر لنا العديد منها وأغلبها كان على الشريط الساحلي، ومنها حصن تانكرمت، وآسلن، وفكان، وحصن مرنيسة، وحصن بني زيني، وحصن الفلوس، وحصن الوردانية،وحصن هنين،وحصن تاونت، وحصن أبي جنون، وحصن كاربيوا [2].

وتعتبر ظاهرة الرؤوس من أكثر المشاهد المميزة لساحل المغرب الأوسط، وتتميز بضخامتها ووعرتها وتقدمها في البحر مما ساهم في شدة تعرج خط الساحل، ومنها من الشرق إلى الغرب رأس الحديد، ورأس بوقرعون "تريتون"، إضافة إلى رأس كاربون، وطرف بني جناد، وكانت تسمى هاته الرؤوس بسيف البحر[3].

وقد أكدت المصادر حدوث تقدم بحري على حساب اليابسة خلال الفترة الوسيطة على غرار مرسى البطال الذي احتل تيبازة القديمة والذي غمرته المياه خلال القرون الخمسة الأولى

[1] – عشي علي : المرجع السابق ، ص 40.

[2] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المصدر السابق ، ص79–80.

[3] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق ، ص49.

للهجرة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى مرسى شرشال ومدينة تنس التي خربها الماء في حدود نيف وعشرين وستمائة [1].

ويبدو أن الطبيعة الجبلية هي السمة الغالبة على التضاريس الساحلية للبحر المتوسط، مما تسبب في تقطع الشواطئ أو تحولها من شواطئ رملية إلى شواطئ صخرية، رغم ما تقدمه للسفن من خدمات كالتقليل من سرعة الرياح وجعل مراسيها مراس آمنة وهادئة، وقد تتحول للجانب السلبي في حالة كونها صخرية ضيقة وقد ذكرت المصادر الوسيطة العديد منها كشاهد عيان على ذلك منها جبال وهران، والتي تستمر متجهة نحو الشرق إلى نهر الشلف، حيث تبدأ بمرتفعات متواضعة لتظهر في شكل مرتفعات بارزة عند منطقة تبحريت، وتظهر أيضا عند مدينة تنس التي تقع في " منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر "[2] ومنها أيضا إلى جبل مغراوة الذي" يمتد على طول نحو أربعين ميلا محاذيا شاطئ البحر المتوسط قريبا من مستغانم "، ثم تختفي هذه الجبال لتعود إلى الظهور من مدينة برشك إلى شرشال وهي"جبال منيعة يسكنها قبائل البربر"، بالإضافة إلى جبل ميسون العالي المطل على بجاية، ثم جبال جيجل، وجبال الرحمن(ما بين المنصورة والقل)، وجبال إيدوغ التي تحمي مرسى بونة .

إن تواجد الجبال في الساحل جعل السهول تكون متقطعة وساحلية، ورغم كونها ضيقة إلا أنها ساهمت في تنشيط التحارة والتبادل البحري خاصة بمادتي الحبوب والفواكه وقد روت لنا المصادر عن هذه السهول منها سهل متيجة، وفحص القل، وسعل بونة، وسهل تنس [3].

كما تحوي بعد السهول سباخ كبيرة تزود المنطقة ككل بمادة الملح أو يستخرج ويوجه للتصدير نحو الضفة الثانية للبحر المتوسط على غرار سباخ وهران .

[1] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م): المصدر السابق ، ج2 ، ص49.

[2] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق، ص ص ،14–35.

[3] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق ، ص78.

وتوجد بساحل المغرب الأوسط شبكة مائية متنوعة، الأمر الذي لفت المصادر القديمة والوسيطة، منها واد سيبوس، والواد الكبير، وواد الشلف بن واطيل، إضافة إلى عدة بحيرات هامة كبحيرة بونة ومرسى الخرز ووهران .

وقد كان للسفن في الفترة الوسيطة دور في استغلال هذه الأودية وإن كانت على جانب قليل نظرا لقلة منسوب المياه صيفا أو جفافها أحيانا إضافة إلى ضيقها وقلة عمقها أو تعرجها، ويعطينا البكري نموذجا عن ذلك واد قسنطينة " الواد الكبير"،وواد الشلف ووادي سيبوس، وواد تافنة " حيث تدخله السفن اللطاف من البحر إلى المدينة، وواد بجاية " الذي يجاز عند فم البحر بالمراكب وكلما بعد عن البحر كان ماؤه قليلا "[1]

وعموما نجد خلال الفترة الوسيطة عدم ثبات أسماء المدن والموانئ واختلافها من فترة لأخرى، ومن مؤلف لآخر وهذا يعود ربما لاختلاف النطق من جغرافي لآخر أو بسبب اختلاف نطقها بين البربرية والعربية، وهو ما جعل في بعض الحالات مدينة كسكيكدة مثلا ذكرها اليعقوبي باسم أسكيدة، في حين استعمل البكري صيغتين مختلفتين في كتاب واحد سقدة وتاسقدة،[2] وأطلق عليها الحموي "سكدة" بفتح أوله وسكون ثانيه.

[1] – عشي علي : المرجع السابق ص43.

[2] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك ، (الجزء الخاص ببلاد المغرب) ، (د ط) ، تح(زينب الهكاري) ، مطبعة الرباط نات ، المغرب،2012، ج2 ، ص758.

الفـــصـــل الأول :

الرحلة والرحالة ببلاد المغرب الأوسط

المبحث الأول : مفـــــهوم الرحـــــلة

المبحث الثاني : الرحلة عند المغاربة وبواعثها

المبحث الثالث : أنواع الرحلة خصائصها وقيمتها

المبحث الرابع : الرحالة المغاربة ومؤلفاتهم

المبحث الأول : مفهوم الرحلة

أ- الرحلة في القرآن الكريم و السنة النبوية:

حث الإسلام على الرحلة، وشجع الناس عليها، كونها تعود عليهم بمنافع في حياتهم العلمية والعملية، والدينية، وهي ترتبط ارتباطا وثيقا بالدوافع الكثيرة التي تدفع الإنسان إلى القيام بالرحلة حتى أن الله تعلى خفف عليه بعض العبادات كالصلاة والصوم، في سبيل انجازها من غير حدوث الضرر أو المشقة[1].

وقد اخبرنا القرآن الكريم عن كثير من الأنبياء الذين اعتنوا بالرحلة والتي ارتبطت لديهم، بقضايا التربية والتعليم، والجهاد، والتفكر والاعتبار والدعوة إلى الله وتطبيق شرعه – سبحانه – في الأرض، كما حدثنا عن أغراض الأنبياء ودوافعهم الجليلة في أسفارهم، والنتائج الخيرة التي شمل نفعها البشرية، ونجد في الرحلة وسيلة من وسائل تحقيقها مثل الحج، الجهاد والدعوة، إلى الله، والسعي للكسب، والمعاش[2].

ومن هؤلاء الأنبياء الذين ذكر الله لأسفارهم في القرآن: إبراهيم، وإسماعيل ولوط، وإسحاق، ويعقوب، وموسى، وهارون، و داوود وسليمان، وعيسى ومحمد عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، وكذلك رحلة إخوة يوسف وذي القرنين، والعبد الصالح عليهم السلام.

وتبدو عناية ديننا الحنيف بالرحلة من خلال وجود ذكرها لقصة أو معنى مرات عدة في القرآن الكريم، والحديث الشريف إلا أن لفظ الرحلة "ورد مرة واحدة في الكتاب المحكم "[3] في

---

[1] – أنساعد سميرة ، الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، (د ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2009، ص 15.

[2]– المرجع نفسه، ص 15.

[3] – علوي مصطفى :" تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري (13-15م) "، (أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط)، تحت إشراف :بلعربي خالد، قسم التاريخ، جامعة الجيلالي ليابس، سيدي بلعباس، 1435ه/2014م، ص17.

سورة قريش التي يقول فيها الله تعالى: " **لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآَمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4)**" (سورة قريش)[1]. وهنا ارتبطت الرحلة بعبادة أهل مكة في القيام برحلتي الصيف والشتاء إلى الشام واليمن، بغرض حيوي وهو التجارة.

كما جاءت لفظة "رَحْلٌ" في القرآن، بمعنى البعير، وهي مرادفة للراحلة في قوله تعالى: " **فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ (70)** (سورة يوسف)[2].

وتنوعت المفردات الدالة على نشاط الترحال، في القرآن الكريم وكان منها "الظعن"، والإسراء، والسفر، والحج، والسير.

ب- الرحلة في اللغة : ورد في لسان العرب لابن منظور الرَّحْلَة والرُحْلةُ، والرَّحْلَةُ اسم للارتحال للمسير ورحل فلان وارْتَحلَ وتَرحَّلَ، والرُحْلةُ بِالضَّم الوجه الذي تُريده تقول أنْتُم رُحْلَتي أي الذين أَرْتَحِلُ إليهم وجاء مفهوم الرحلة في المعجم الوسيط : رحل عن المكان رَحْلا وَرَحيلا وتَرْحالا ورِحلة سار ومضى والرحالة الكثير الرحلة والرَّحلة الارتحال جمع رحل والرُحُول كثير الارتحال[3] ومن هنا يمكننا القول أن المفهوم اللغوي للرحلة يحيلنا إلى معنى السفر والانتقال أو المقصد الذي يراد السفر إليه.[4]

---

[1] – سورة قريش، الآية (1-4).

[2] سورة يوسف، الآية 70، انظر كذلك الآيتين(62.75).

[3] – ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي التونسي(ت71ه/1311م): لسان العرب، مج11، دار بيروت للطباعة والنشر، د ت، ص279.

[4] – بورقبة مريم : " أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا " (مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي)، تحت إشراف: قوراري سليمان، قسم اللغة والأدب، جامعة أدرار، 2013/1434، ص6.

ج- الرحلة في الاصطلاح : لا يختلف مفهوم الرحلة في الاصطلاح عن مفهومها لغة فهما يشتركان في الصفة اللازمة بفعل الارتحال وهي الحركة .والرحلة في الاصطلاح هي نوع من التأليف الذي يجمع بين الدافع العميق والتأمل الدقيق في رصد المشاهدات والظواهر بأداة دقيقة والبحث عن الأسباب والنتائج ببصيرة واعية " والرحلة أيضا وسيلة هامة لاكتشاف العالم والإنسان وتوسيع الخبرات والمعارف،وفي هذا الصدد يقول الفيلسوف الانجليزي فرانسيس بيكون " إن السفر تعليم للصغير وخبرة للكبير"

كما عرفتها نواب عواطف محمد عبد الرزاق بقوله: " هي فن من الفنون، برع فيه الرحالة المسلمون، وخاصة المغاربة والأندلسيين، لكثرة دوافعهم في القيام بمثل هذه الرحلات، فأصبحت فنًا قائما بذاته من حيث تدوينه بأسلوب مُميز، يشمل تاريخ الخروج والوصول[1].

ويبدو أن لفظ الرحلة سواء في القرآن الكريم أو اللغة العربية واصطلاحا متقارب إلى حد كبير، ومنه نخلص أن لفظ الرحلة بمعنى السير والانتقال والوجهة أو اقتراب وقت الرحيل وكل معانيها تعني الانتقال من مكان إلى آخر أو من بلد إلى آخر.

المبحث الثاني : الرحلة عند المغاربة وبواعثها

أ- الرحلة عند المغاربة:

الرحلة فن من فنون الأدب العربي تخصص وبرع فيه الرحالة المسلمون والاطلاع على القليل من هذه الرحلات يعطي لنا صورة واضحة على قدمها وتنوع اتجاهاتها وطرقها واختلاف أهدافها على أن هذا الفن يرقى إلى قمة الإبداع ويزداد خصوبة في الغرب الإسلامي بما عرف

[1] – نواب عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1996، ص59.

عنهم رغبتهم الملحة في الأخذ عن الشيوخ وزيارة الأماكن المقدسة وبجولاتهم من أجل الاطلاع والبحث عن الحقيقة [1]

فالتأليف في أدب الرحلة عند المسلمين بدأ في القرن 3هـ /9م غير أنهم نادرا ما دونوا أخبار رحلاتهم في مؤلفات إذ برع وتخصص فيه الرحالة المغاربة ووضعوا فيه مؤلفات ولم يعد الرحالة يهتمون بالرحلات، ويكتفون بها، بل صاروا يدونونها لينقلوا أخبار البلدان والأماكن التي زاروها لغيرهم.

كان أدب الرحلة في المغرب الأوسط تصويرا للحضارة بما فيها من طريف الأخبار ونادر الحكايات وعجائب المخلوقات وعادات الأمم وأخلاقهم وبما فيها من فوائد تاريخية وجغرافية ونمو للثروة الأدبية ووصف للحوادث و البلاد فمثلا رحلة ابن بطوطة أفادت الجغرافية الطبيعية والبشرية والعادات والتقاليد الاجتماعية والمأثورات الشعبية[2]

و من أهم الأسباب التي دفعت المغاربة إلى تدوين رحلاتهم الحاجة إلى معرفة الطرق الكبرى ومن ثم ألفت كتب كثيرة في وصف المسالك والممالك لأداء فريضة الحج والتعريف بالبلدان وأماكن المياه والأسواق ومعرفة مواقع الخطر والمشقة حتى لا يقع فيها رحالة آخرون.

لم تكن الرحلات المغربية دائما نحو المشرق بل منهم من اتجه نحو العدوة الأندلسية إما للعمل أو لزيارة الأصدقاء أو لأخذ العلم عن الشيوخ ومن هؤلاء الرحالة ابن رشيد والرحالة ابن بطوطة، وقد تفوق المغاربة عن المشارقة في تأليف كتب الرحلات التي اكتست أهمية كبيرة في رصد الحياة الثقافية والاجتماعية للشعوب ومعرفة حضارتهم وطرق عيشهم وأصبحت بمثابة سجل يدون فيه صاحبه كل ما شاهده خلال سفره .

[1] – الشاهدي الحسن : أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني، ج1، منشورات عكاظ، 1990، ص47.

[2] – علوي مصطفى : المرجع السابق، ص22.

ويدخل في صف الرحلات الجغرافية عدد كبير من المؤلفات شارك فيها مغاربة، أهما رحلة الجغرافي أبا عبد الله محمد بن محمد الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" الذي بين فيه حسه الجغرافي بوصفه الجيد ومهارته في صناعة و إعداد الخرائط الأمر الذي جعل البعض يصفون الإدريسي أعظم جغرافيي العصور الوسطى على الإطلاق نظرا للدقة التي ترجع إلى مشاهداته الشخصية التي توحي بدرجة عالية من الثقة[1].

ومن الرحالة المغاربة، الرحال محمد العبدري البلسي المتوفي نحو (720هـ/1320) صاحب: "الرحلة المغاربية"، وقد سجل في رحلته كل ما رآه في ذهابه وإيابه، وكان قد مر بكثير من المدائن في المغرب الأقصى، والمغرب الأوسط والمغرب الأدنى، ومصر، والحجاز، وبعد أداء فريضة الحج مر على فلسطين وكان سببها ديني لأداء فريضة الحج[2].

وابتدءا من أواخر القرن السادس للهجرة، تحولت اتجاهات كتابة الرحلة حيث أصبحوا يعتنون بسرد يومياتهم، وذكر الكثير من الخصوصيات ومشاعرهم وأفكارهم، إذ أصبح الأسلوب سرديا وقصصيا يتسم بالبساطة والسلاسة، وبهذا انتقلت الرحلة من الطابع العلمي، إلى الطابع الأدبي.

وقد مثل الرحالة الأندلسي محمد بن جبير (ت 614هـ) أحسن تمثيل لهذا الاتجاه الأدبي، برحلته المعنونة: " تذكار الأخبار عن اتفاقات الأسفار "[3].حيث اتفق العديد من

[1]– ضيف شوقي: الرحلات، ط4، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة، (د ت)، ص 4.

[2] – أبو عبد الله العبدري : الرحلة المغربية، ط1، تح: علي إبراهيم كردي، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع (د م ن) 1426هـ/ 2005م، ص ص 8، 7.

[3] – أنساعد سميرة: المرجع السابق، ص 42.

المؤرخين على أن ابن جبير هو الرحالة الذي اكتملت على يديه الملامح الأساسية لأدب الرحلة باعتبار أن رحلته اتسمت بقيمة التطور الأدبي[1].

أفادت رحلة ابن جبير في موضوعها وصياغتها،الكثير من الرحالة المؤلفين المغاربة والأندلسيين الذين جاءوا بعده مثل علي بن سعيد الأندلسي(ت 685ه) مؤلف كتاب "المشرق في حلى المشرق"، وابن رشيد السبتي الأندلسي (ت، 711ه) مؤلف رحلة " ملء العيبة فيما جمع بطول الغيبة"، أما محمد بن إبراهيم اللواتي المعروف بابن بطوطة (ت، 776ه) فقد فاق ابن جبير شهرة واتساعا في رقعة الرحلة، بكتابه " تحفة النضار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار"، حتى عدا أشهر الرحالين شرقا وغربا، ولم يشهد الفكر اليوناني أو الروماني رحلة من طراز المقدسي أو المسعودي أو الإدريسي أو ابن حوقل أو ابن بطوطة، وإضافة إلى هؤلاء، نذكر كذلك من رحالة القطر المغاربي: عبد الرحمان ابن خلدون(ت.808ه) صاحب " التعريف بابن خلدون ورحلته شرقًا وغربًا"، الذي يعد سيرته الذاتية، مضمنة كما هو واضح من العنوان بأخبار رحلات ابن خلدون في المغرب والمشرق[2].

ب-بواعث الرحلة :

- يحث الإسلام على طلب العلم ويحث على تجثم المشاق في هذا السبيل وحديث الرسول ρ " اطلبوا العلم ولو في الصين" لذلك كان طلاب العلم يتركون أوطانهم ويسيرون شرقا وغربا وشمالا وجنوبا من إقليم إلى آخر يدرسون على مشاهير الأساتذة ويقابلون الأعلام والفقهاء.
- كان الحج من أعظم بواعث الرحلات ومن أغنى الينابيع التي زودت المسلمين بالمعلومات فإن آلاف المسلمين الذين يتجهون إلى بيت الله الحرام وقبر الرسول ρ من شتى أنحاء العالم

[1] – فتيحة حاج بن فطيمة : القيمة التاريخية لكتب الرحلات رحلة ابن جبير والطهطاوي أنموذجا، مجلة العبر للدراسات التاريخية، ع2، جانفي 2019، جامعة يحي فارس، المدية، الجزائر، ص313.

[2] المرجع نفسه، ص 43.

كانوا يصفون عند عودتهم إلى بلادهم مشاهدات ويروون القصص التي سمعوها، كما كان بعضهم يدونون تجاربهم لينتفع بها غيرهم ولتساعدهم على أداء مناسكهم.[1]

- كما كان لاتساع نطاق التجارة وانتشار قوافلها وامتداد طرقها بين بحار الصين وآسيا الوسطى وسواحل بحر البلطيق والأندلس وشواطئ وجزر المحيط الهندي وصحاري السودان وغيرها الأثر الكبير في انتشار وازدهار النشاط الارتحالي كما فعل ابن حوقل النصيبي.
- الميل الغريزي عند العرب للبحث والاطلاع، ولذلك اتخذ الكثير منهم السياحة وسيلة للدراسة والوقوف على ما بالبلاد الأخرى من عجائب وغرائب،والكشف عن التطور الحاصل فيها .
- شعور العربي أنه في بلاده ما دام في ديار وبلاد إسلامية.
- كانت للعروبة هيبة في سائر دول العالم فكان العرب المسافرون يلقون من كرم الضيافة وحسن المعاملة ما يحبب إليهم الرحلات والأسفار.[2]
- تقديم وصف ومقارنة بين بلد وآخر في معالمه الجغرافية والمناخية والحضارية من بعض الرحالة مثل ما فعل البكري.[3]

تكون الرحلة بدوافع تحفز الشخص المتنقل بالقيام برحلته، والانتقال من مكانه إلى مكان آخر لغرض معين، فتكون إما بدافع علمي أو ديني أو تجاري، أو دافع جهادي وسياسي بغية تحقيق الهدف وهي أنواع منها:

[1] – أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون، (د ط)، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع، جدة، السعودية، (د ت)، ص13.

[2] – الشنواني أحمد محمد : موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، ط1، دار الزمان للنشر والتوزيع، المدينة المنورة، السعودية، 2007/1428، ص ص19، 20 .

[3] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، المرجع السابق، ص81.

المبحث الثالث : أنواع الرحلة وخصائصها وقيمتها

أ- أنواع الرحلة

1- **الرحلة العلمية** :هي ذلك السفر الذي يقوم به الإنسان من أجل طلب العلم والاستزادة منه، وكثيرة هي الآيات الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة الحاثة على طلب العلم، و يرى العلامة ابن خلدون أن الرحلة في طلب العلم و لقاء المشيخة تزيد في اكتمال التعليم ورسوخها في ذهن طالب العلم[1]، ولهذا السبب نجد أن العلماء المسلمين اهتموا بها كثيرا فقد حث الرسول الله محمد صلى الله عليه وسلم على الارتحال في طلب العلم،حيث نجد هذا في الحديث النبوي الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله عليه وسلم قال[**من سلَك طَريقًا يَبْتَغي فيه عِلمًا سهل الله له به طَريقًا الى الجنةِ، و إنّ الملائكة لتضع اجْنِحَتَها لطالب العلم رضاً بما يصنع] رواه مسلم**[2]

ومنه فان مفهوم الرحلة العلمية هو ارتحال الطالب لغرض التزود من العلوم، وبلقاء المشيخة والعلماء والجلوس إلى الشيوخ للاستماع لدروسهم في الحلقات، ولكشف أمور علمية حتى يتم حصول كمال التعلم والمعرفة، وهي إحدى السبل لكسب العلم، فكان العلماء والطلبة يتنقلون إلى أماكن معينة لتحصيل العلم.[3]

2- **الرحلة الدينية** : فهو العامل الذي يقضي بشد المغاربة الرحال إلى الحجاز والأماكن المقدسة لأداء فريضة الحج **{وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالاً وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيق}**[4] وزيارة قبر الرسول والمزارات الدينية الأخرى كالمسجد الأقصى وقبور الأنبياء

---

[1] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): المقدمة، ص226.

[2] – النووي محي الدين يحي بن شرف : رياض الصلحين من حديث سيد المرسلين، تح(علي بن حسين الحلبي الأثري)، ط1، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، السعودية، 1421هـ، ص464.

[3] – نصار حسين : أدب الرحلة، ط1، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، (د م ن)، 1991، ص32.

[4] – سورة الحج، الآية27.

والصحابة في بغداد والقاهرة والشام والقدس[1] ومنها يغتنم العالم أو طالب العلم فرصة بالتقائه بالعلماء ويتحصل على العلوم أثناء مسيره، حيث يقول "أبو القاسم سعد الله" أن الرحلة الحجازية أو الحجية هي تلك الرحلة التي يتجه من خلالها صاحبها إلى البقاع المقدسة بنية أداء فريضة الحج، وهي رحلة تشد فيها الرحال إلى مكة المكرمة من أجل إتمام الركن الخامس من أركان الإسلام، كما أنها ليست كغيرها من الرحلات باعتبارها ذات علاقة بعقيدة الإنسان ودينه، وهي مفروضة على كل قادر عليها من المسلمين، فالحج لمن استطاع إليه سبيلا، يعتبر هذا النوع من الرحلات الأكثر هيمنة على الرحلات المغاربية خلال مختلف العصور التي تلت الفتح الإسلامي.[2]

حيث تعتبر رحلات الحجيج محطة من محطات تواصل وترابط الشعوب المغاربية ببعضها البعض، من خلال المظاهر الإنسانية والأخوية والثقافية التي تتجسد أثناء هذا السفر الشاق والطويل إلى البقاع المقدسة، حيث تعد مسلكا لتمتين أواصر المحبة والمودة بين ركب الحجيج بشكل أكبر، بل هو فرصة سانحة لتلاقي وتعارف العلماء والمثقفين، حيث يسمح لهم بالتبادل المعرفي وتلقي المزيد من التكوين العلمي واكتشاف التطورات والأنشطة الثقافية المختلفة بمختلف الأماكن التي يحلون بها.

3- **الرحلة التجارية** :تتم عن طريق قوافل تجارية المتنقلة بين البلدان فيرافقها علماء، وهؤلاء العلماء يجدون فرصة لنهل العلوم أثناء تنقل القافلة بين الحواضر.[3]

[1] – الشاهدي الحسن : المرجع السابق، ص71.

[2] – سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (16-20م) ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر 1981، ص395.

[3] – الشوابكة نوال عبد الرحمان : أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1، دار المأمون للنشر والتوزيع، الأردن، 2007، ص46.

4- **الرحلة الاضطرارية** :وتتم عن طريق الهجرة الناتجة عن ظلم الحكام أو الحروب، فيضطر العلماء و السكان إلى الهجرة

5- **الرحلة الاستطلاعية** : و تعني الإبحار والمغامرة والدافع هنا التمتع بالحياة والوصول إلى مواطن الجمال والرغبة في اكتشاف ما لم تره العين فيقوم الرحالة بالسفر بمحض إرادته دون دافع خارج عن حدود الذات[1]

6- **الرحلة الرسمية** : يضم هذا النوع كلا من الرحلات التكليفية والإدارية والسفارية وهي خاصة بدوافع عديدة منها تفقد أمر الرعية، أو تلبية طلب الحاكم في معاينة أماكن مجهولة أو بعيدة أو الإتيان بأخبارها فقد تكون في إطار التجسس أو الاستطلاع أو من أجل عقد معاهدات صداقة و اتفاقيات تجارية و كذلك لتحرير و تبادل الأسرى[2].

ب- **قيمة الرحلات المغاربية:** تكمن قيمة الرحلات في قيمتين:

1- القيمة العلمية: تتمثل القيمة العلمية بتزويد أهل التاريخ والجغرافية والآثار والأدب وغيرهم بمعلومات قيمة عن وصف المدن والطرق والعمران والبلدان وأخبار الناس وعاداتهم وتقاليدهم والحوادث الغريبة، بل إن الرحالة أنفسهم يحصلون على علم وافر وتجارب كثيرة في مختلف الميادين في التربية وأساليب التعليم والتهذيب[3]، فقد نتجت لها عما تحتويه معظم هذه الرحلات كثير من المعارف الجغرافية[4]، وهذا ما أشار إليه ابن حوقل في رحلته الجغرافية بذكر المسافات وصور المدن وسائر ما وجب ذكره[5]، أما التاريخية والاجتماعية والاقتصادية نجد أن ما دونه الرحالة كان تدوين للمعاين في غالب الأحيان جراء اتصاله المباشر بالطبيعة والناس والحياة

[1] – نصار حسين : المرجع السابق، ص 5.

[2] – أنساعد سميرة : المرجع السابق، ص20.

[3]– الشوابكة نوال عبد الرحمان :المرجع السابق، ص53.

[4]– حسين محمود حسين: المرجع السابق، ص 6.

[5]– ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): صورة الأرض، (د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص15.

خلال رحلته [1]، وبالتالي فقد كان للرحلات قيمة تعليمية بحيث أنها أكثر المدارس تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين[2]، ونجد أن الناحية العلمية قائمة على الالتقاء بأكابر العلماء وبهذا أصبح العلماء رسل علم ومعرفة وحلقة اتصال وتبادل فكري وعلمي[3].

2- **القيمة الأدبية:** وتكمن في أنما كتبه الرحالة يأخذ طريقه إلى عالم الأدب لما فيه، من صدق التجربة، واللهجة الشخصية، والتصوير الفني الحي، مما يجعله قريبا من عالم القصة.

كما أن القيمة الأدبية للرحلات تتجلى فيما يقوله حسني محمود حسين: " في ما تعرض فيه مشوارها من الأساليب ترتفع بها إلى عالم الأدب، وترقى بها إلى مستوى الخيال الفني"[4].

ج- خصائصها

1- التنوع والشمول: إذ يتطلب التاريخ والجغرافيا والعادات والتقاليد وأنماط الحياة ذلك.

2- جمال السرد: دقة الوصف والملاحظة وما يعانيه الكاتب من مشاكل وصعوبات، وكيفية اجتيازها.

3- النقد: وذلك من أجل النصح والإرشاد، وان كان بطريقة غير مباشرة وذلك نتيجة لعمق نظرة الكاتب وسعة إطلاعه.

المبحث الرابع : الرحالة المغاربة ومؤلفاتهم.

1- أبو إسحق الفارسي الاصطخري:(ت340هـ/951م)

إبراهيم بن محمد الفارسي أبو إسحاق الإصطخري(ت346هـ/957م) ويقال له الكرخي الجغرافي رحالة من العلماء من أهل الإصطخر قام بسياحة طاف بها بلاد العرب وبعض بلاد

[1]- حسين محمود حسين: أدب الرحلة عند العرب، ط2، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع (د م ن)، 1983، ص7.

[2]- حسين محمد فهيم: أدب الرحلات، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 57.

[3]- نواب عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية و الأندلسية، دط، مكتبة الملك الوطنية، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1996م، ص91.

[4]- قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، (د ط)، مكتبة الدار العربية للكتاب، (د م ن)، 2002، ص 21.

الهند[1]، جاب الآفاق وارتحل في الأمصار لأكثر من ربع قرن وخلف لنا كتاب لا يغفل عنه الدارسون وهو أول من رسم خريطة العالم الإسلامي على مذهب أهل الرحلة والمشاهدة الشخصية، كما أنه أول خرائطي مسلم رسم خرائط الأقاليم والربط بين خطوط الطول والعرض والمواقع والمواضع[2].

2- أبو القاسم محمد بن حوقل(000-367هـ/000-977م)

هو أبو القاسم محمد بن حوقل بن علي النصيبي ولد في نصيبين [3]كاتب وجغرافي ومؤرخ ورحالة عربي من القرن العاشر للميلاد. من أشهر أعماله "صورة الأرض" [4].

والمعلومات القليلة المتوفرة عن ابن حوقل مستخلصة من كتابه الذي كان مراجعة وتطويرا لكتاب"مسالك الممالك " للإصطخري،والذي كان بدوره مراجعة لكتاب" صور الأقاليم "لأحمد بن سهل البلخي.

عمل بالتجارة وبدأ تجواله من بغداد سنة 331هـ (943م)، ويُعتْقد أنه كان من الدعاة السياسيين للعباسيين أو الفاطميين. كان ابن حوقل شغوفًا بمعرفة أخبار البلدان والوقوف على حال الأمصار، كثير الاستعلام والاستخبار، محبًا لقراءة الكتب المؤلفة، وقد ألَّف كتاب صورة الأرض الذي تناول فيه أقاليم بلاد الإسلام إقليمًا إقليمًا وصقعًا صقعًا، ويبدو أنه حصر اهتمامه في دار الإسلام .

وقد عاش ابن حوقل سنوات طويلة في قرطبة على عهد عبد الرحمن الثالث وانعكس ذلك فيما أورده من معلومات وافية عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية ب الأندلس.

---

[1]- الزركشي خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس(ت1336هـ/1917): الأعلام، ج1، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م، ص61.

[2]- قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي، مكتبة الدار العربية للكتاب (د م ن)، 2002، ص 178.

[3] - ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق، ص328

[4] -أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق، ص117.

كان ابن حوقل أكثر من محرر، فقد كان رحالة يمضي وقتا طويلا في الكتابة عن المناطق والأشياء التي يراها. أمضى آخر 30 عاما من حياته مسافرا إلى مناطق نائية في آسيا وأفريقيا .[1]

3- أبو عبيد البكري : (000-487هـ/000-1094م)

هو عبد الله بن محمد بن أيوب (بن عمر أبناء الأمراء) يكن أبا(عبيد الله ولي) أبو زيد محمد بن أيوب (ت487هـ/1094م)، هو من مفاخر الأندلس وهو أحد الرؤساء الأعلام[2]، أكبر جغرافي عرفته الأندلس ويبدو لنا في رحلته جغرافيا واقتصاديا خبيرا [3]،كان من عائلة عربية تعيش في الأندلس وقد وصف في كتبه بلاد المغرب العربي وبعض بلاد غرب إفريقيا[4]،إذ أنه خلف مؤلفات مهمة في مجال الجغرافيا[5]، وملئت شهرته الآفاق وكثرت تأليفه في الشعرية النثرية والجغرافية، وفي علم النبات والفلسفة لم يحفظ الزمن من مؤلفات البكري إلا بعض العناوين نذكر منها : كتاب المعجم الذي توجد منه نسختان واحدة في مكتبة ميلانو والأخرى في مكتبة ليدن وكتاب المسالك والممالك من أهم مؤلفات البكري وهو من المصادر القيمة لتاريخ المغرب الوسيط عموما والقرن الحادي عشر خصوصا [6].

---

[1] – زكي محمد حسن : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى، دار الرائد العربي، (د ط)، بيروت، لبنان، 1981، ص39.

[2]– بن قربة صالح: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م، ص180.

[3]– الشوابكة نوال عبد الرحمان: المرجع السابق، ص 56.

[4]– هوارد: أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا، ج1، دط، دار الكتب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1996م، ص9.

[5]– الشوابكة نوال عبد الرحمان: المرجع السابق، ص 56.

[6]– بن قربة صالح: المرجع السابق، ص 237.

وعلى الرغم من أن صاحب الكتاب لم يزر بلاد المغرب إلا أن أوصافه لمدن المغرب الأوسط وللطرق الرابطة فيما بينها جاءت في غاية الدقة والوضوح حيث يقدم معلومات قيمة تمس الأوضاع الاقتصادية لبلاد المغرب في عمومها ويركز على الجانب التجاري في شقه المتعلق بمسالك التجارة.

يعد هذا الكتاب من أهم كتب الجغرافيا المعتمد عليها للتعرف على المسالك البحرية والأوصاف الدقيقة التي يقدمها لمراسي المغرب الأوسط .

4- أبو عبيد الله الإدريسي (493هـ-560هـ/1100- 1166م)

هو محمد بن محمد الشريف الإدريسي[1]، ولد بمدينة سبتة المغربية(493هـ/1100م) ولا يعلم شيء عن أحواله في تلك المدينة ولا عن نشأته فيها ولا عن الشيوخ الذين تلقى عنهم ولكن المعروف أنه رحل إلى قرطبة وتلقى العلم فيها[2]، ثم رحل إلى بلاد المغرب والأندلس[3].

ويعد الإدريسي أكبر جغرافي في بلاد المغرب والأندلس[4]، بدأ أسفاره في سن مبكرة فزار أماكن عديدة لم تكن مألوفة في ذالك العصر[5]، وانتهى به المطاف إلى صقلية[6]، فكان دخوله إليها بدعوة من الملك روجر الثاني[7]، وخلال إقامته قريبا من بلاط هذا الملك الذي كان يشجع العلم والعلماء صنع الكرة الأرضية الفضية والخرائط المصورات وقام بتأليف كتابه نزهة المشتاق[8]، الذي يقام فيه المسجد الأقصى بمسجد قرطبة [1]، ولقد استعان الإدريسي في كتابة

[1]- أحمد رمضان أحمد : المرجع السابق، ص 46.

[2]- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ص 9-10.

[3]- ضيف شوقي: المرجع السابق، ص 19.

[4]- أحمد رمضان أحمد: المرجع السابق، ص46.

[5]- الشوابكة نوال عبد الرحمان: المرجع السابق، ص ص 56 57.

[6]- ضيف شوقي : المرجع السابق، ص 19.

[7]- روجر الثاني: هو روجر الثاني النور مندي ملك صقلية أنظر: المرجع السابق، ص 27،

[8]- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): المصدر السابق، ص 13.

مؤلفاته الجغرافية الواسعة بما أفاده من رحلاته الخاصة [2]، وللإدريسي غير كتابه الشهير "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" له مؤلفات أخرى شارك بها في ميدان علم الجغرافية أيضا والنبات والصيدلة والذي عرف منها "روضة الأنس و نزهة النفس" والذي يعرف باسم ا"لمسالك و الممالك" وكتاب "روض الفرج ونزهة المهج" هو تلخيص لكتاب روض الأنس[3]،(ت560هـ/1166م).

5- محمد ابن جبير (540- 614هـ/1145-1217م)

محمد بن أحمد بن جبير بن سعيد بن جبير الكناني البلنسي الغرناطي الأندلسي المكنى بأبي الحسين [4] ولد ببلنسية سنة 540هـ/1145م وترعرع بها، ثم استوطن غرناطة واستقر بها[5] وقد رحل إلى المشرق ثلاث مرات أولها سنة 578هـ/1182م وفيها دون رحلته المعروفة، توفي ابن جبير في الإسكندرية في رحلته الثالثة سنة 614هـ/1217م.

دون ابن جبير رحلته المسماة "برحلة ابن جبير" أو تذكرة الأخبار عن اتفاقات الأسفار.[6] على شكل مذكرات يومية، عني فيها بالنواحي الدينية فاهتم بذكر مشاعر الحج بالتفصيل، كما وصف المظاهر الجغرافية من سهول وهضاب وجبال وبحار وخلجان كما اهتم بأجناس

---

[1]- ابن عثمان : القدس و الخليل في الرحلات المغربية، دط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، السعودية، 1997م، ص ص 12 13.

[2]- أحمد رمضان أحمد: المرجع نفسه، ص ص 64 65.

[3]- الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): المصدر السابق، ص 13.

[4] - المقري التلمساني أبو العباس أحمد بن محمد (ت1041هـ/1632م): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، ج2، تح(إحسان عباس)، دار صادر، بيروت، 1968. ص381..

[5] - ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين (ت776هـ/1374):الاحاطة في أخبار غرناطة، ج2، تح(عبد الله عدنان)، مكتبة الخانجي القاهرة، (د ت)، ص168.

[6] - كردي علي إبراهيم : أدب الرحل في المغرب والأندلس، (د ط)، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، سورية، 2013، ص33.

الناس وأشغالهم وصناعتهم وزراعتهم، كما لم يغفل تصوير العلاقات التجارية بين المسلمين وغيرهم، كما اهتم بالمراكز الثقافية والعلمية، وهذا التنوع الذي اتسمت به رحلته جعل منها نموذجا استند إليه معظم الرحالة الذين جاؤوا بعده نظرا للقيمة العلمية والأدبية التي احتوت عليه كما أضحت مرجعا رئيسيا للمؤرخين والأدباء.[1]

6- ياقوت الحموي: (575- 626هـ / 1180-1229م)

هو شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي البغدادي الرومي، ولد عام (575هـ / 1180م) في بلاد الروم ومن هنا جاءت تسميته بالرومي، ولعل من أبرز مؤلفاته كتاب معجم البلدان الذي يعد من أهم المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة وهو معجم في المدن والقرى والخراب والعمار والسهل والوعر من كل مكان ويعد موسوعة جغرافية لا غنى عنها وفرغ من تأليفه في حلب سنة 621هـ/ 1224م وجعله هدية لخزانة وزير حلب جمال الدين القفطي.[2]

7- أبو الحسن علي بن سعيد المغربي:(610-685هـ/1214-1285م)

علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد يكنى بأبي الحسن ويعرف بابن سعيد ولد سنة 610هـ /1213م[3] في قلعة يحصب من أعمال غرناطة، [4]

---

[1] – فتيحة حاج بن فطيمة : المرجع السابق، ص316

[2]– نهاية فؤاد فريد مسعود: المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، (مذكرة ماجستير في التاريخ)، تحت إشراف: عامر القبج، جامعة النجاح الوطنية، كلية الدراسات العليا، نابلس، فلسطين، 2018، ص10.

[3] – السيوطي جلال الدين بن همام الدين الأسيوطي(ت911هـ): بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة، ج2، ط2، تح(محمد أبو الفضل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1979، ص209

[4] – الأنصاري محمد جابر : التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد ورحلاته المشرقية وتحولات عصره، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيرقت لبنان، 1992، ص82.

قام برحلات طويلة في العراق والشام والحجاز وتونس وأرمينية والمغرب الأوسط ودون أخبار ومعالم البلاد التي زارها في بعض مؤلفاته ومنها "المُغرب في حلى المغرب " وهو كتاب كبير أتم كتابته بعد أن بدأه أبوه وجده و إلى الآن مخطوطا ولم يطبع إلا أجزاء منها " والمُشرق في حلى المشرق"[1] ولابن سعيد رحلتان " عدة المستنجد وعقلة المستوفز" والنفحة المسكية في الرحلة المكية[2].

وألف ابن سعيد كتاب الجغرافيا في الأقاليم السبعة ويسمى أيضا "بسط الأرض في الطول والعرض" وهو عبارة عن جدول بالمدن والجبال والأنهار والبحار وغيرها من الأعلام الجغرافية.[3]

8- محمد بن عبد المنعم الحميري(ت900هـ/1495م):

هو عبد الله بن عبد المنعم الصنهاجي الحميري السبتي يكنى أبا عبد الله ويعرف بابن عبد المنعم أوضح الحميري في مقدمة كتابه الخطة التي التزم بها في تأليفه، والكتاب عبارة عن معجم جغرافي مرتبا على حروف المعجم وذكر فيه المدن والقرى وما إليها في قارات الدنيا المعروفة في عصره، وقد حرص المؤلف على الاختصار ولذلك حذف المسافات والمسالك وتكمن أهمية الكتاب في احتفاظه بمعلومات من كتب ضالعة أو من مشاهداته وارتساماته التي يدونها في رحلته التي قام بها لأداء فريضة الحج حيث مكث هناك زمنا طويلا للعبادة والدراسة على يد المتبحرين والمتعمقين في مختلف العلوم في المشرق العربي الإسلامي [4].

[1] – زكي محمد حسن : المرجع السابق، ص 131.

[2] – الشوابكة نوال عبد الرحمن : المرجع السابق، ص66.

[3] – نهاية فؤاد فريد مسعود: المرجع السابق، ص26.

[4] – علوي مصطفى : المرجع السابق، ص99.

9- االعبدري أبو عبد الله محمد بن محمد(643- 700هـ/1245-1300م)

محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود أو سعود أبو عبد الله الحاحي (ت725هـ/1325م)، المشهور بالعبدري نسبة إلى عبد الدار وهي قبيلة من جنوب المغرب الأقصى وهو صاحب الرحلة المعروفة باسمه، أصله من بلنسية الأندلس وكان يسكن في بلد حاحة[1]بالمغرب[2]، والتي تبعد عن مدينة الصويرة بحوالي ستين كيلومتر[3]، وكذلك أقام مدة من الزمن في قرية تقع على الطريق بين بسكرة وتوزر بالمغرب الأوسط[4]، وعنى العبدري في رحلته ببيان المواقع الجغرافية كما ذكر المعالم الأثرية ودراسة العادات في البلاد التي مر بها فضلا عن الكلام على أعلام الفقهاء المسلمين في عصره[5]، إضافة إلى اعتنائه بالجانب الاقتصادي في المدن التي زارها، ولا يوجد للعبدري مؤلفات غير رحلته التي دونها[6].

[1]- الحاحة : بلدة واسعة بالمغرب الأقصى و حيحة بالكسر قبيلة من قبائل سوس مشهورة وحاحة قرب مدينة الصويرة على شاطئ المحيط الأطلسي على مقربة مغادور بمراكش أنظر: الزبيدي مرتضى بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني(ت1205هـ/1790م) تاج العروس من جواهر القاموس، تح حسين الناصر، (د ط)، ج6، مطبعة حكومة، الكويت، 1968م، ص 358.

[2]- المصدر نفسه: ص7.

[3]- خير الدين الزركشي: المرجع السابق، ج7، ص32.

[4]- المصدر نفسه:ص7.

[5]- زكي محمد حسين: المرجع السابق، ص162.

[6]- نواب عواطف محمد يوسف : المرجع السابق، ص118.

10- ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله (703-779هـ/ 1304-1377م)

ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الطنجي الرحالة المؤرخ ولد في طنجة 703هـ/1304م[1] يلقب بشمس الدين ويعرف بابن بطوطة وينتسب إلى قبيلة لواته[2] البربرية.

قام ابن بطوطة بثلاث رحلات تمت بين 726-750هـ/1325-1354م زار في الأولى بلاد المشرق بما فيها الهند والصين وفي الثانية زار بلاد الأندلس وفي الثالثة بلاد السودان الغربي، امتدت لأكثر من 25 سنة،وكان يكتب مذكرات خلال رحلته وسار على منوال سابقيه من الرحالة العرب أمثال ابن حوقل وابن جبير وغيرهم، وقد جال في أنحاء المعمورة وجمع معلومات جغرافية نادرة في رحلته(تحفة النظار في غرائب الأمصار) وصار كتابه من المصادر الهامة للباحثين في ميدان الرحلات الجغرافية.

تتجلى أهمية رحلته من خلال ما كتب عنها في المصادر والدراسات فالمستشرق الروسي كراتشكوفسكي يعتبر ابن بطوطة " آخر رحالة كبير انتظم محيط رحلاته العالم الإسلامي بأجمعه" ومن زاد من أهمية الرحلة ترجمتها إلى عدة لغات كالانجليزية والتركية والفرنسية واللاتينية، واعتمدت على كتابه عدة جامعات في دراسة علم الرحلات مما أكسبها الصبغة العالمية[3]

---

[1] -ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي(ت770هـ/1368م):: تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، مؤسسة الحسني، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ص7.

[2] – لواته : بطن عظيم متسع من بطون البربر ينتسبون إلى لوا الأصغر بن لوا الأكبر بن زحيك ولوا اسم أبيهم ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): العبر ....المصدر السابق، ج6، ص152.

[3] – علوي مصطفى : المرجع السابق، ص36

11- عبد الرحمن ابن خلدون : 732-808هـ/ 1332-1406م

هو أبو زيد ولي الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن ين محمد بن جابر بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن عبد الرحيم الحضرمي الاشبيلي ابن خلدون المالكي ينسب إلى حضر موت ولد بتونس سنة 732هـ/1332م من أسرة ذات مكانة عريقة.[1]

لم يهدف ابن خلدون إلى تدوين رحلاته بطريقة تجعلها ملمة بكل ما مر به أثناء تنقلاته من مختلف الجوانب الجغرافية والاجتماعية والثقافية إنما كان هدفه المساهمة في التعريف به وبذلك يمكن القول أن رحلته كانت أقرب إلى السيرة الذاتية فعنوان الرحلة في أول الأمر كان "التعريف بابن خلدون مؤلف هذا الكتاب " ويقصد بهذا الكتاب كتاب العبر ثم غير العنوان " التعريف بابن خلدون، رحلته شرقا وغربا"ثم عرف الكتاب برحلة ابن خلدون [2]

12- الحسن الوزان: (901هـ- 1495 /957هـ- 1550م)

الحسن بن محمد الوزان الفاسي شخصية عربية فذة، يختلف المؤرخون في تحديد سنة ولادته فيجعلها البعض عام(901هـ/1495م) وبعضهم عام (906هـ/1500م) ينتسب إلى قبيلة بني زيات الزناية الواقعة موطنها في أقصى غرب بلاد غمارة من سلسلة جبال الريف المغربية[3]، يعرف في أوروبا باسم Leo africanus الذي زار شمال إفريقيا[4]، اجتمع له من الخصال العلمية والإنسانية ما جعل الغربيين المسيحيين يقدرونه حق قدره و يستفيدون من تأليفه الجغرافي.

---

[1] – المرجع نفسه، ص89.

[2] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): رحلة ابن خلدون، ص ص، 20-21.

[3]– الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): وصف إفريقيا، تر (محمد حجي و محمد الأخضر)، ج1، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م، ص ص 5- 6 و ما بعدها .

[4]– هوارد: المرجع السابق، ص 10.

الفصل الثاني: نشأة موانئ المغرب الأوسط في ضل كتب الرحالة

المبحث الأول: أشهر موانئ المغرب الأوسط

أ – ميناء بجاية

ب –برشك

ت –بونة

ث –تنس

ج –جزائر بني مزغنة

ح – شرشال

خ – مستغانم

د – هنين

ذ – وهران والمرسى الكبير

المبحث الثاني: أصناف الموانئ وأساليب الإبحار

أ – أصناف الموانئ:

ب –**أساليب وتقنيات الملاحة البحرية:**

المبحث الثالث: المراكب والسفن أنواعها ودور صناعتها

أ – أنواع المراكب والسفن

ب –دور الصناعة في المغرب الأوسط

المبحث الأول: موانئ المغرب الأوسط

تميزت الواجهة الساحلية للمغرب الأوسط بكثرة الموانئ التي امتدت من الشرق إلى الغرب فقد كان الميناء في تلك الفترة يحظى باهتمام الدول بفضل الأنشطة الإستراتيجية التي يقوم بها وما يدره من أموال طائلة على الخزينة حيث تعتبر الموانئ شريان التجارة فهي همزة وصل بين الدول حين تبادلها للسلع والبضائع، وقد ازدادت أهمية الطرق البحرية بعد اضطراب الطرق البرية وانتشار الفتن والقلاقل، وبالتالي تطور المدن الساحلية مما لفت انتباه الرحالة الجغرافيين إليها، فكيف تجلى هذا في كتاباتهم؟

أ- ميناء بجاية:

بالكسر وتخفيف الجيم وألف وياء وهاء مدينة بين إفريقية والمغرب[1]، وهي مدينة عتيقة قام ببنائها الرومان وأحاطت بها أسوار عالية[2]، وبجاية مدينة برية بحرية موضوعة في أسفل سفح جبل وعر مقطوعة بالنهر والبحر[3]

كانت بجاية موقعا لمدينة أسسها الفينيقيون تعرف باسم صلدة ثم انتقلت إلى الرومان وعرفت باسم صالداي، أما في العصر الإسلامي فقد كانت عبارة عن قرية صغيرة سكنتها قبيلة تسمى بجاية أو بوجي، ولم يكن لها أي شأن يذكر فقام بإنشائها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين في حدود السنة 457هـ[4] يتميز بحصانته الطبيعية وقدرته على استقبال عدد كبير من السفن على اختلاف أحجامها، بالإضافة إلى وجود الوادي الكبير على

[1] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م): المصدر السابق ، ج1، ص228.

[2] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص50.

[3] – العبدري أبو عبد الله البلنسي (ت 720هـ/1320م): المصدر السابق ، ص82.

[4] – هو الناصر بن علناس وتولى الحكم بعد اغتيال ابن عمه بلكين 454 هـ/1062، وقد اعتزل آل حماد وعظم شأنه وبني المباني والمدائن العظيمة ، ينظر ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1504م):: العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ص 206.

مقربة من المدينة مما ساهم في حماية السفن كما يتمتع هذا الميناء بميزة هامة بتوفره على أماكن تُمكن السفن من الاقتراب نحو الرصيف وهو بذلك يقسم الساحل إلى ثلاث خلجان صغيرة أمكن استعمالها كموانئ في مختلف العصور ويعتبر الجون الشمالي هو الأكبر وبعمق سبعة إلى ثمانية أمتار ملائم لرسو السفن وشكل نقطة للتموين بالماء[1]

ويعرفه صاحب الاستبصار فيقول:" هي مرسى عظيم تحطه سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر والهند والصين وغيرهما"[2] كلام يشير إلى تطور ميناء بجاية حيث أصبح يستقبل السفن والبضائع من الأندلس وبلاد الروم ومن المشرق.

أما الحموي فيشير إلى أن بجاية كانت قديما ميناء فقط ثم بنيت المدينة وهي في لحف جبل وهي دار مملكة يركب منها السفن وتسافر إلى جميع الجهات، بينها وبين ميلة ثلاثة أيام[3]

ويعرفها البكري بأنها "مدينة أولية آهلة عامرة بأهل الأندلس وبشرقها نهر كبير تدخله السفن المحملة وهو مرسى مأمون شتوي قد خرج عن محاذاة جزيرة الأندلس....ومرسى بجايه هو ساحل قلعة أبي الطويل".[4]

ب-ميناء برشك

هي مدينة صغيرة على التل وعليها سور تراب[1]، وهي على ضفة البحر[2]، هي قديمة بناها الرومان على ساحل البحر الأبيض المتوسط بعيدة أميال يسكنها أناس كثيرون خشنون

[1] – مناصري هناء ، بن ساحة حبيبة: ميناء بجاية في عهد الحماديين والموحدين (458- 668 هـ/1065-1269م)، (مذكرة ماستر تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط)، تحت إشراف: موسى هيصام ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة يحي فارس ، المدية ، الجزائر، 2018، ص28.

[2] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، ص130.

[3] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م): المصدر السابق ، مج1 ، ص177.

[4] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك،المصدر السابق ،ج2، ص757.

يشتغل معظمهم بحياكة الأقمشة[3]، شرب أهلها من عيون وماؤها عذب واقتحمها الملك المعظم روجار سنة وخمس مائة، يفصل بينهما وبين تنس ستة وثلاثون ميلا ومن شرشال عشرون ميلا افتتحها الملك المعظم "روجار" سنة وخمس مائة بها فواكه وحمل مزراع[4].

ويسميها بعض المؤلفين بئر شاق، تحيط بها أسوار وفيها عدد من البنايات والآثار الرومانية وهم من سكان زواوة[5]، تكثر الخيرات بها لاسيما التين وتنتج البادية الجميلة من حولها كثير من الكتان والشعير وأهل برشك حلفاء الجبلين المجاورين وأصدقائهم وبذلك تمكنت المدينة من الدفاع عن نفسها طوال 100 سنة والتحرر من كل خراج ومازال في المدينة كثير من آثار عمارات الرومان وأبنيتهم [6].

ت-ميناء بونة

بونة بالضم ثم السكون مدينة بإفريقية بين مرسى الخزر وجزيرة بني مزغنة[7] ذكرت مدينة في الكثير من المؤلفات الجغرافية والتاريخية وذلك لأهميتها وشهرتها حيث كانت في القرن 4ه مدينة مقتدرة ليست بالكبير ولا بالصغيرة وكانت تجارتها مقصودة وأسواقها حسنة فيها خصب ورخص موصوف وفواكه وبساتين، والقمح والشعير في أكثر أوقاتها، بالإضافة إلى احتوائها

---

[1] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957ه/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص35.

[2] – بشاري لطيفة: العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن (7-10ه/13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف(د ت) ، ص89.

[3] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957ه/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص 32.

[4] – ذباح نجية ، فطيمة بومسلي: الموانئ الزيانية ودورها الاقتصادي، (مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط) تحت إشراف (حمزة عبد الصمد)، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الدكتور يحي فارس ، المدية ، الجزائر ، 2016/2015، ص25.

[5] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560ه/1166م): نزهة المشتاق، المصدر السابق ، ص258.

[6] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957ه/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص33.

[7] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626ه/1229م): المصدر السابق ، ج1، ص512.

على معدن الحديد الذي يُحمل منها إلى سائر البلاد، وكانت أكثر تجارتها الغنم والصوف والماشية[1].

وذكرها العبدري في رحلته فقال:" ثم وصلنا إلى مدينة بونة فوجدناها بلدة بطوارق الغير مغبونة مبسوطة البسيط ولكنها بزحف النوائب مطوية مخبونة ....ومن أغرب المسموعات أن صادفنا وقت المرور بها زويرقا للنصارى لا تبلغ عمارته عشرين شخصا وقد حصروا البلد حتى قطعوا عنه الدخول والخروج وأسروا من البر أشخاصا فأمسكوهم للفداء بمرسى البلد ..."[2]

أما عن مرسى المدينة فيصفه البكري "بأنه مرسى مأمون ويذكر كذلك أن لمدينة بونة مرسى آخر يسمى مرسى منيع"[3]، ويقول عنها صاحب الاستبصار " وبونة في جون في البحر يسمى "جون الأزقاق"، [4] ويبدو أن حجم هذا المرسى وعمقه لا يسمحان له باستيعاب سفن الركاب الكبيرة كمركب القيطاني والفخري، مما يتسبب في عطب المراكب نظراً لملامستها لقاع المرسى المملوء بالصخور.

ويبدو أن هذا المرسى قد اتسع وتطور فأصبح بذلك من المراسي المهمة والشهيرة في بلاد المغرب وأصبحت السفن تنشط فيه أغلب أشهر السنة وهذا ما جعل تجارة المدينة مزدهرة وجعلها مقصدا للتجار وبخاصة الأندلسيين منهم، فكان أهلها في غنى وسعة من العيش وكان مستخلصها غير جباية بيت المال عشرون ألف دينار[5].

---

[1] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق ، ص213.

[2] - العبدري أبو عبد الله البلنسي (ت 720هـ/1320م): المصدر السابق ، ص104.

[3] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك ، المصدر السابق ، ص758.

[4] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، ص127.

[5] – خلوط أسماء: الموانئ ودورها في تنشيط الملاحة البحرية والحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس (ق3-6هـ/10-12م) كلية العلوم الاجتماعية – جامعة ابن خلدون ، تيارت ، ص260 .

ث- ميناء تنس:

مدينة تنس بفتحتين والتخفيف والسين المهملة[1] وهي مدينة على مقربة من البحر المالح[2] قال عنها البكري" تنس هذه التي تسمى تنس الحديثة، وعلى البحر حصن يذكر أهل تنس أنه كان القديم المعمور قبل هذه الحديثة التي أسسها البحريون من أهل الأندلس وذلك سنة اثنين وستين ومائتين، وهي مدينة بينها وبين البحرين ميلان مسورة حصينة بها مسجد جامع وأسواق كثيرة"[3]

قال عنها ابن حوقل"أنها مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط يحيط بها سور" وقال أيضا" هي من الخصب في جميع الوجوه الرفهة بأمر مستفاض .... ولها بادية من البربر كثيرة وقبائل فيها أموالهم جسيمة غزيرة "[4]

أما الإدريسي فقال"ولها أقاليم وعمال ومزارع"[5]، كما يؤكد الدور التجاري لمدينة تنس صاحب الاستبصار حين يقول" هي كثيرة الزرع، رخيصة الأسعار منها يحمل الطعام إلى الأندلس وإلى بلاد إفريقية لكثرة الزرع عندهم ...."[6] أما ابن سعيد المغربي فيقول:" مدينة تنس تابعة للجزء الثاني من بلاد المغرب وهي مشهورة بكثرة القمح الذي يحمل"[7]

والعبدري ذكرها في بيت من الشعر قائلا:

وفي تنس نسيت جميل صبري وهمت بكل ذي وجه وضيئ[8]

والحسن الوزان وصفها قائلا " مدينة أزلية بناها الأفارقة في منحدر جبل على مسافة قريبة من البحر المتوسط، يحيط بها سور، وسكانها أقوام أفظاض غلاظ، كانت خاضعة لتلمسان[1]

---

[1] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م): المصدر السابق ، ج2، ص48.

[2] – ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد(ت685هـ/1285م): المصدر السابق ، ص142.

[3] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، المصدر السابق،ج2، ص726.

[4] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق ص78.

[5] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح(إسماعيل العربي) ، ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1983 ، ص153.

[6] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، ص133.

[7] – ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد(ت685هـ/1285م): المصدر السابق ، ص142.

[8]– العبدري أبو عبد الله البلنسي (ت 720هـ/1320م): المصدر السابق ، ص37.

كان الميناء أحد الموانئ المغربية التي استخدمت في التبادلات التجارية مع الدول المجاورة، وتجمع المصادر والمراجع على مكانة مرسى المدينة محليا وإقليميا، فقد أصبح من أهم موانئ المغرب الأوسط وهذا نظرا للحركة الكبيرة التي كانت تدب فيه.[2]

يتميز مرسى التنس عن سائر المراسي الأخرى خاصة وأنه تقابله جزيرة صغيرة كانت السفن تحتمي بها أثناء هبوب العواصف القوية وكان التجار يلتجئون إليها إذا صادفتهم عراقيل في المرسى[3]

ج- ميناء جزائر بني مزغنة:

هي مدينة الجزائر إذ وردت في النصوص التاريخية والمصادر الجغرافية بصيغ مختلفة فهي جزائر بني مزغناي عند ابن حوقل[4] ويسميها البكري جزائر بني مزغنَى[5] فيما ترد المدينة باسم الجزائر لبني مزغنَا ومدينة الجزائر

قال عنها الإدريسي كانت من مواطن قبيلة بني مزغنة البربرية و بها سميت ثم أصبحت موطنا لقبيلة الثعالبة العربية في عهود لاحقة.[6]

حظيت هذه المدينة باهتمام الجغرافيين الذين لم يغفلوا ذكر هذه المدينة القديمة التي كانت رومانية فهي مدينة جليلة قديمة البنيان فيها آثار للأوائل تدل على أنها مملكة لسالف الأمم وصحن دار الملعب به[7]، سميت في العهد الروماني باسم أقسيوم (أكسيوم) سكنها طوائف من

---

[1] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق، ج2 ، ص35.

[2] – بختي حمزة : المرجع السابق ، ص41.

[3] – عودة بناي ، صليحة تودیات: المرجع السابق ، ص59.

[4] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق ، ص77.

[5] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، المصدر السابق،ج2،ص732.

[6] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(ت808هـ/1504م): العبر، المصدر السابق ،

[7] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، ص132.

البربر، وقد وصفها الإصطخري بأنها مدينة عامرة بها طوائف من البربر وهي من الخصب والسعة على غاية ما تكون المدن[1].

وذكر البكري "هذا المرسى بأنه مأمون وله عين عذبة يقصد إليه أهل السفن من إفريقية والأندلس وغيرهما"[2]

وهذا ما جاء على لسان الإدريسي حين قال " ميناؤها محمي جدا ومزود بالماء من عيون عذبة على البحر ومن آبار وقد كان يتردد عليه البحارة القادمون من إفريقية والأندلس ومن الأقطار الأخرى فيتجهزون بها إلى سائر البلاد والأقطار المجاورة لهم والمتباعدة عنهم"[3]

وقد أشار ابن حوقل إلى أن المدينة "عليها سور على سيف البحر أيضا، وفيها أسواق كثيرة، ولها عيون على البحر طيبة وشُربُهم منها ولها بادية كبيرة وجبال فيها من البربر كثرة وأكثر أموالهم المواشي من البقر والغنم الهائمة في الجبال[4] تحاذيها جزيرة على رمية سهم منها[5]، لم يغيرها تقادم الزمن وتعاقب القرون[6]، تشرف على سهل متيجة الذي يبلغ طوله حوالي خمسة وأربعين ميلا وعرضه ستة وثلاثين ميلا وكانت الجزائر خاضعة لتلمسان مدة طويلة[7].

تميزت بكثافة النشاط الملاحي والتجاري لمدن الساحل الأندلسي خصوصا بعد نجاح السياسة الأموية في خلق فضاء تجاري في الحوض الغربي للبحر المتوسط بداية من القرن

[1] – الإصطخري أبو القاسم محمد بن إبراهيم (ت340هـ/951م): المصدر السابق ، ص38.

[2] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، المصدر السابق، ج2،ص732.

[3] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق، المصدر السابق ، ج1، ص258.

[4] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق 78.

[5] – الإصطخري أبو القاسم محمد بن إبراهيم (ت340هـ/951م): المصدر السابق ، ص38.

[6] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، 132.

[7] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص ص 37، 38.

2هـ/ 8م وتواصل المدينة نموها خلال القرن الخامس ولتصبح من أهم موانئ المغرب الأوسط وتكون مقصدا للتجار من إفريقية وبلاد الأندلس.

وقد اكتسبت مدينة الجزائر مكانة تجارية مهمة، وهذا بسبب وقوعها على محورين تجاريين هامين هما: الطريق البحري الرابط بين ألمرية والإسكندرية والطريق

ح- ميناء شرشال

مدينة كبيرة ضاربة في القدم شيدها الرومان على ساحل البحر المتوسط [1] فيها آثار للأول، وهي غير مسكونة فيها بنيان عجيب يسمى محراب سليمان قد علا في الهواء ويقابله من الأندلس مرسى ألاقنت[2]، ويذهب بعضهم إلى أنها كارشينا كولونيا، وهي بين مدينة تنس وبين مدينة الجزائر تفصلها عن كل منهما مسافة خمسة عشر فرسخا في البحر، أما عن طريق البر فلا تصل المسافة بينهما إلى عشرة فراسخ"[3]وبينها وبين مدينة الجزائر بني مزغنة سبعون ميلا[4]

وقال الإدريسي " ومنها (برشك) إلى شرشال مسافة تفصلها حوالي عشرون ميلا ويفصل بينها جبل منبع يسكنه قبيلة من البربر، تسمى ربيعة وبأنها مدينة صغيرة القدر متحضرة ومياهها جارية وآبار، معينة عذبة، يحيط بهذه المدينة أراضي فلاحية جميلة جدا وكان جزء منها كثير السكان أيام المسلمين، رغم ما تعرضت له من تخريب شديد على يد القوط (الوندال)"[5]

[1] – المرجع نفسه: ص 45.

[2] – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): الروض المعطار في خير الأقطار تح(إحسان عباس) ،ط2، مكتبة لبنان ، لبنان ، ص340.

[3] – ذباح نجية ، فطيمة بومسلي: المرجع السابق ، ص24.

[4] – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): المصدر السابق، ص 163.

[5]– الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق، المصدر السابق ، ج1 ص258 .

أما الحسن الوزان فقال" تلك هي مدينة كبيرة جدا وموغلة في القدم بنيت بدورها في عهد الرومان على ساحل البحر المتوسط، وكان محيطها في الماضي يعادل ثلاثة أميال، وهو طول جدار سورها الشديد الارتفاع والمبني بحجارة ضخمة ومنحوتة. ويظهر فيها بجوار البحر جامع كبير عال جدا... وفي عصر مضى كانت هناك قلعة كبيرة قائمة فوق جرف صخري يمكن منها مراقبة البحر على مسافة شاسعة وتحيط بالمدينة أراض زراعية طيبة... وظلت خاوية خلال مدة تقارب ثلاثمائة عام حتى سقوط غرناطة بأيدي النصارى، وحينئذ قصدها كثير من الغرناطيين وأعادوا بناء قسم كبير من منازلها وكذلك قلعتها وزرعوا أراضيها، ثم بنوا كثيرا من سفن الملاحة، وكانوا يزاولون كذلك أعمال صناعة الحرير، لأنهم وجدوا كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض والأسود[1]

خ- ميناء مستغانم

قام عدد كبير من الرحالة والجغرافيين والمؤرخين بتقديم تعريفات مختلفة لميناء مستغانم ومن أهم تعريفاتهم ما قاله البكري "مدينة مستغانم مسيرة يومين وهي مقربة من البحر وهي مسورة ذات عيون وبساتين وطواحين ماء، يبذر من أراضيها القطن فيجود وهي بقرب مصب نهر شلف في البحر بغربي هذه المدينة نحو ثلاثة أميال منها مدينة تامرغوان"[2]، فتحها عبد الرحمان بن تاشفين[3]، عندما وصل إلى مدينة فاس بايعوه بها وذلك يوم الثلاثاء الثامن عشر من شهر رجب سنة ثمان وتسعين وستمائة سألوه التوجه إلى بلادهم ليريحوهم من عدوهم

[1] - الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2 ، ص34

[2] - البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، المصدر السابق ،ج2 ، ص 737

[3] – وُلِدَ أبو يعقوب يوسف بن تاشفين بن إبراهيم اللمتوني الصنهاجي سنة (400هـ/1010م)، ودامَتْ فترة حُكمِه ما بين 400-500هـ /1009- 1106م، أبوه يُسمَّى إبراهيم اللمتوني الصنهاجي أنظر: حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ، ط 1 مكتبة الخانجي ، القاهرة ، مصر: ، ص26، 27، بتصرّف.

فارتحل من فوره إلى مدينة تلمسان فنزلها في شعبان وكان ذلك يوم الثلاثاء وقت الضحى فملك مستغانم وعدة مدن أخرى..

وهي على مسيرة يومين عن قلعة مغيلة دلول[1]، على البحر لها أسواق وحمامات كثيرة وجنات وبساتين ومياه كثيرة وسور على جبل مطل من ناحية المغرب، وهي صغيرة تقع بالقرب من مازونة [2].

في حين وصفها الوزان بأنها" مدينة بناها الأفارقة على ساحل البحر المتوسط على نحو ثلاثة أميال شرقي مدينة مركزان . وكان لها في القديم حضارة كبيرة و سكان كثيرون لكن الأعراب يكثرون مضايقتها منذ أن بدأت سلطة ملوك تلمسان تضعف حيث أنها فقدت ثلثي أهلها ومع ذلك فإنها ما تزال تضم قرابة ألف وخمسمائة كانون"[3].

وهي مدينة أسسها الموحدون فيها مسجد في غاية الحسن وصناع كثيرون ينسجون الأقمشة ودورها جميلة وسقاياها عديدة يخترقها جدول ماء يحرك الطاحونات[4]، وفي خارجها عدة بساتين جميلة لكن معظمها مهجور وجميع الأراضي المحيطة بها جيدة للفلاحة الخصبة، كان لها سور على جبل مطل إلى ناحية الغرب وهذا الجون تقريره أربعة وثلاثون ميلا تقريرا وروسية وأربعة وعشرون ميلا ومن مستغانم إلى حوض فروح تقريرا أربعة وعشرون ميلا وروسية خمسة عشر، لها ميناء صغير تقصده السفن الأوربية، وخاصة الإيطاليين توقف سفنها في مينائها الصغير الذي يشتهر بتجارة الصوف[5]

---

[1] – مغيلة دلول:وهي قطعة على جبل ضيق شديد الحصانة بينها وبين البحر خمسة فراسخ وبها عين ماء ، الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): المصدر السابق ، ص470.

[2] – ذباح نجية ، فطيمة بومسلي: المرجع السابق ، ص21.

[3] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص32.

[4] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك،المصدر السابق ،ج2، ص761.

[5]– بشاري لطيفة: المرجع السابق ، ص86.

خ- ميناء هنين:

من أهم موانئ المغرب الأوسط، التي لعبت دورا تجاريا هاما، في ربط العلاقات مع بلدان حوض المتوسط[1].

يصفها ابن حوقل في كتابه بقوله" هنين مدينة صغيرة قديمة بناها الأفارقة"[2] ويقول أيضا " أنها أنيقة صينة للغاية لها ميناء صغير محروس ببرجين كل واحد منهما في جهة وتحيط بها أسوار عالية متينة لا سيما من جهة البحر" ويذكر البكري أن مدينة هنين كانت مرسى محصنا ولذلك كانت تجمع بين مهامها الدفاعية وفي الوقت نفسه كانت مرسى مما يدل على أن هذا المرسى لم يكن له دور يستحق الذكر خلال القرون الأولى التي أعقبت الفتح الإسلامي لكنه تطور وأصبح من المراسي المهمة في القرن الخامس الهجري[3] ثم أصبح في القرن السادس هجري مدينة ذات أسواق مزدهرة [4]حيث يصفه البكري بأنه "مرسى جيد مقصود، وهومن أكثر الحصون المتقدمة الذكر بساتينا وضروب التمر"[5] وقال في شأنها الإدريسي " مدينة حسنة صغيرة في نحر البحر وهي عامرة، عليها سور متقن وأسواق وبيع وشراء وخارجيا زراعات كثيرة وعمارات متصلة "[6] وأشار إليها ابن سعيد المغربي في قوله " تلمسان المشهورة بينها وبين هونين ثلاثون ميلا"[7]

---

[1] – صاري جيلالي: أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين) ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر ، ع12 ، 1986، ص17.

[2] – ميلودي زهرة: الرحلات البحرية ودور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ، ع3، جوان 2016 ، ص37.

[3] – خلوط أسماء: المرجع السابق ، ص260.

[4] – بشاري لطيفة: المرجع السابق ، ص 86.

[5] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487هـ/1094م): المسالك والممالك،المصدر السابق ، ج2،ص 750.

[6] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص534.

[7] – ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن عبد الملك بن سعيد(ت685هـ/1285م): المصدر السابق ، ص140.

ويصفها صاحب الروض المعطار بأنها "مدينة بالمغرب جليلة على الحر وشمالها تلمسان وهي قرب ندرومة"[1] ولقد ذكر ابن خلدون مرسى هنين في رحلته [2] في حين يصفها الحسن الوزان بقوله" هنين لها ميناء صغير محروس ببرجين ...تحيط بها أسوار عالية متينة لا سيما من جهة البحر، وتأتي إلى هذا الميناء سنويا سفن شراعية من البندقية تحقق أرباحا جسيمة مع تجار تلمسان" [3]وكان الميناء واسعا يصل عرض مرساه إلى ثمانية أمتار ونصف، فيستقبل السفن الكبيرة والصغيرة من شبه جزيرة ايبيريا إذ لا يفصله عن ألمرية إلا مسافة يومين[4]

للميناء موقع جغرافي ممتاز حيث أن الصخور العالية المطلة عليه تحميه من الرياح والأمواج، ونظرا لتوفر المياه العذبة الموجودة في أراضيه القريبة وكثافة غاباته المجاورة وخصوبة التربة بأراضيه، اكتسب أهمية خاصة منذ وقت مبكر[5]

د- ميناء وهران والمرسى الكبير:

بفتح أوله وسكون ثانية وآخره نون على البر الأعظم من المغرب وبينها وبين تلمسان سرى ليلة [6]، وقد اختلف في أصل الكلمة لكن على الأرجح أنها لفظ بربري يعني مكان الأسد[7].

قال عنها صاحب الاستبصار" وهران مدينة على ضفة البحر حيث جماعة من الأندلسيين البحريين وهي كثيرة البساتين والثمار ولها ماء سائح وأنهار كثيرة وأرجاء وعيون وهي من أعز البلاد ولها نظر كبير فيه قرية كبيرة فيها آثار قديمة"[1]

---

[1] – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): المصدر السابق ، 597.

[2] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): المصدر السابق ، ص53.

[3] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص 15.

[4] – بشاري لطيفة: المرجع السابق ، ص432.

[5] – صاري جيلالي: المرجع السابق ، ص18.

[6] – الحموي أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت (ت626هـ/1229م): المصدر السابق ، ج2، ص385.

[7] – بختي حمزة : المرجع السابق ، ص43.

وقد أشار إليها البكري فقال " بنى مدينة وهران محمد بن أبي عون ومحمد بن عبدون مع جماعة من الأندلسيين البحريين الذين ينتجعون المرسى باتفاق منهم مع نفزة وبني مسفن، سنة تسعين ومائتين فاستوطنوها سبعة أعوام"[2]

ويقول الحميري فيقول عن المرسى الكبير أن به ترسى السفن الكبار وهو يستر من كل ريح لا مثيل له في المراسي وشرب أهلها من واد يجري إليها من كل البر وعليه بساتين وجنات و بها فاكهة ممكنة، أهلها في خصب ولقد اعتمدت وهران على المرسى الكبير الذي يقع بعد ميلين منها لأنه يتوفر على أهم ما تتطلبه عملية لإرساء السفن خاصة الكبيرة من مكان وحماية للإرساء.[3]

وذكرها العبدري في رحلته فقال " ثم مررنا على مدينة وهران وهي مدينة مليحة حصينة برية بحرية وهي من مراسي تلمسان وأنظارها ومتجر تلك النواحي ولكنها لما طرقها من نوائب الدهر مطرقة، وجيوش الخطوب الملمة بها محدقة. قارعتها حتى قرعت ساحتها.[4]

ثم يأتي الحسن الوزان ليعطينا نظرة شاملة عن وهران فيقول " وهران مدينة كبيرة فيها ستة آلاف كانون، بناها الأفارقة الأقدمون على شاطئ البحر المتوسط بعيدة بنحو مائة وأربعون ميلا عن مدينة تلمسان، و بها من البنايات والمؤسسات ما تتميز به كل مدينة متحضرة من مساجد ومدارس وملاجئ وحمامات وفنادق محاطة بأسوار عالية جميلة ..."[5]

أما المرسى الكبير فقد ظل تحت الحكم الزياني منذ منتصف القرن الثالث عشر ميلادي، ونظراً لموقعه الممتاز حظي بعناية كبيرة لدى ملوك تلمسان حيث جعلوه محطة تجارية وأقيم

---

[1] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): المصدر السابق ، ص133.

[2] – العربي إسماعيل: المدن المغربية ، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، (د ت) ، ص 140.

[3] – ذباح نجية ، فطيمة بومسلي: المرجع السابق ، ص18

[4] – العبدري أبو عبد الله البلنسي (ت 720هـ/1320م): المصدر السابق ، ص561.

[5] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2 ، ص30.

فيه حصن دفاعي يعود إلى القرن السابع الهجري وهذا ما شجع السفن التجارية الأوروبية على اعتباره المحطة الرئيسية في البحر المتوسط ومنذ بداية القرن التاسع هجري أصبح مركزاً محوريا للتبادل التجاري بين الدول المتوسطية الأوربية وبين بلاد المغرب الأوسط الذي يبيعون فيه منتجاتهم[1]

ولقد أجمل الحسن الوزان في تعريفه فقال" مدينة صغيرة أسسها في عصرنا ملوك تلمسان على ساحل البحر المتوسط، بعيدة ببضعة أميال عن وهران. ومعناها الميناء الكبير، لأن هناك ميناء ما أظن أن في الدنيا أكبر منه، يمكن أن ترسو فيه بسهولة مئات المراكب والسفن الحربية، في مأمن من كل عاصفة وإعصار. وكان من عادة سفن البندقية أن تلجأ إلى المرسى الكبير عند اكفهرار الجو، وترسل بضائعها في قوارب إلى وهران، وإذا كان الجو صحوًا قصدت ساحل وهران مباشرة. وقد استولى الأسبان عنوة على المرسى الكبير قبل سقوط وهران ببضعة أشهر[2].

المبحث الثاني: أصناف الموانئ وأساليب الإبحار

أ- أصناف الموانئ:

صنفت مراسي المغرب الأوسط تبعا للفصل الذي تستقبل خلاله المراكب والقوارب والملاحظ أن السنة الملاحية في عُرف البحارة والجغرافيين قد قسمت إلى فصلين فقط هما الشتاء والصيف حيث كان يعبر عن الفصل الذي ينطلق خلاله النشاط الملاحي بـ" الإبان" أو طياب البحر، بينما يعبر عن موسم توقف الملاحة أو انحصارها على نطاق محدود بأوقات امتناع ركوب البحر أو ارتجاج البحر وكلب الشتاء[3]

[1] – بختي حمزة: المرجع السابق ، ص44.

[2] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص31

[3] – خلوط أسماء: المرجع السابق ، ، ص 251.

1- المرسي الشتوي أو المشتى: أطلق جغرافيو الغرب الإسلامي لفظ المرسى "الشتوي" أو"المشتى"، على المراسي التي توفرت على إمكانية استقبال للسفن طيلة فصل الشتاء؛ كما دعيت بنفس الاسم تلك المراسي التي تقضي فيها المراكب فصل الشتاء بمنأى عن المخاطر الطبيعية، فيقال في هذه الحالة أنها تشتي فيها السفن، وعلى سبيل المثال يصف البكري مرسى جزائر بني مزغنى بأنه مرسى مأمون شتوي، ويذكر كذلك "مرسى وهران مرسى كبير شتوي سكن من كل ريح"

2- المرسى الصيفي: على العكس من سابقتها، كانت المراسي الصيفية تنفع في استقبال السفن والقوارب و رسوها خلال فصل الصيف فقط، أي في الفترة التي تكون فيها الملاحة متيسرة بين موانئ البحر المتوسط والبحر المحيط؛ في حين كانت تتعطل حركة الرسو بها في باقي فصول السنة، بسبب انكشافها أمام أمواج البحر العاتية، وعدم قدرتها على حماية السفن من العطب في هذه الظروف[1]، ويتواتر ذكر بعض المراسي بالمغرب الأوسط على أنها موانئ صيفية كميناء مدينة التنس الذي شكل حالة فريدة حيث كان بمقدوره أن يستقبل السفن الأندلسية التي ترغب في قضاء فصل الشتاء محتمية بحوضه فالبحارة كانوا يشتون هناك إذا سافروا من الأندلس.[2]

ب- أساليب وتقنيات الملاحة البحرية:

تنوعت أساليب الملاحة في البحر المتوسط. كما تنوعت مفرداتها وعباراتها التي تصف كيفية إبحار السفن في أطوال البحر وعروضه وفي السواحل وأعالي البحار، حيث أن المصادر التاريخية والجغرافية بالمغرب الإسلامي تزخر برصيد غني ومتميز عن هذه الأساليب، كما تمنح لنا هذه النصوص معطياتا دقيقة عن كيفية قياس الربابنة للمسافات

[1] – الجعماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالمغرب الإسلامي، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2012 ، ص45.

[2] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز (ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، المصدر السابق ، ص726.

البحرية، إلى حد وضع قواعد ووحدات قياسية متعارفة لتحديده ويمكن تصنيف تقنيات الإبحار إلى ثلاث طرق تم تداولها بين بحارة المغرب الإسلام وهي كالتالي:

- **طريقة المساحلة:** وهي اقتناء خط سير قريب من الساحل، والتوقف باستمرار في مختلف المواني الواقعة على الطريق البحري، كما أطلق عليه مصطلح التقوير[1] وهوأسلوب الملاحة يستعمله الإدريسي في قياس المسافات البحرية، حيث أن السفن تبحر في خط سير متعرج يخضع لشكل السواحل والخلجان والرؤوس، بحيث يمكنها مشاهدة البر مما يزيد من طول المسافة البحرية[2].
- **طريقة الروسية:** وهي حسسب ما جاء به الإدريسي تتصف باتخاذ خط شبه مستقيم للوصول إلى محطة بحرية معينة، ويقدم لنا الإدريسي معطيانا احصانية حول المسافات التي تفصل بين بعض مدن ومواني المغرب الأوسط بـ روسية، وعلى التقوير[3] فمثلا: المسافة من وهران إلى طرف مشانة روسية خمسة وعشرون ميلا وعلى التقوير اثنين وثلاثون ميلا، ومن مستغانم إلى حوض فروح تقويرا أربعة وعشرون ميلا[4]، وروسية خمسة عشر ميلا ونستنتج إذن أن أسلوب الإبحار بالروسية كان من شانه تقليص المسافة البحرية أكثر من نسبة الثلث مقارنة بأسلوب التقوير.

---

[1] – تقدم لنا معاجم اللغة تعريفا قريبا مما توحي به النصوص الجغرافية ، فهو يحيل على الاستدارة على خط السير ، وقار الشيء قورا وقورة أي قطعه من الوسط خرقا مستديرا،ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين الإفريقي التونسي ت71ه/1311م): المرجع السابق،ص3771.

[2] – بورملة خديجة: التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى السابع الهجري ، 15/12م ، (أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ الوسيط) ، إشراف: عبد القادر بوباية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ، جامعة وهران ، 2018/2017، ص136.

[3] – الجعماطي عبد السلام: النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف (316ه-483م) ، ط1، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ، 2010، ص217.

[4] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560ه/1166م): نزهة المشتاق، المصدر السابق ، ص271.

• **طريقة التلجيج**[1]: إذ كانت بعض السفن تمخر عباب البحر ملججة في أعاليه، و التلجيج في اصطلاحات الجغرافيين والمؤرخين هو الابتعاد عن السواحل في اتجاه أعالي البحار أو قطعها عرضا، وقد عدوه نوعا من التغرير بالنفس والمال توشك بصاحبها أن يهلك في غير طائل[2]، لكن المراكب المتجهة من العدوة المغربية إلى العدوة الأندلسية أو العكس، وكذلك تلك المتجهة إلى المشرق تضطر في الكثير من الأحيان أن تبتعد عن الساحل، وتقطع البحر عرضا، ويذكر ابن جبير أن السفينة التي كان على متنها قد اعتمدت هذا الأسلوب في الإبحار، وذلك في قوله: "فأخذنا ملججين، وأقرب ما تؤمله من البر إلينا جزيرة أقربطش، والملاحظ أن إتباع أسلوب التلجيج كان متوقفا على دراية الربابنة بالملاحة الفلكية: لأن هذا الأسلوب يقوم أساسا على الاسترشاد بالنجوم لتوجيه دفة السفينة صوب الاتجاه المقصود[3].

المبحث الثالث: المراكب والسفن أنواعها ودور صناعتها

أ-**أنواع المراكب والسفن:** يمكن تقسيم سفن الفترة الوسيطية حسب الوظيفة إلى سفن حربية وسفن تجارية ومراكب صيد إضافة إلى السفن الملاحية المخصصة للسفر، كما أن في زمن الحرب يتم استدعاء السفن التجارية للمشاركة في القتال سواء بحمل المقاتلين أو الأحصنة و المؤونة.

وأهم السفن والمراكب التي تنجزها دور الصناعة المنتشرة على طول ساحل المغرب الأوسط نذكر:

[1] -التلجيج: مأخوذ من اللجة ولجة البحر حيث لا يدرك قعره ، ولج البحر عرضه وهو أيضا الماء الكثير الذي لا يرى طرفاه انظر: ابن منظور أبو الفضل جمال الدين الإفريقي التونسي (ت71هـ/1311م): المرجع السابق ، ص3999.

[2] – الجعماطي عبد السلام: النقل والمواصلات بالأندلس، المرجع السابق ، ص218.

[3] – خلوط أسماء: المرجع السابق ، ص265.

1- **الحرابي:** ومفردها حربة وهي نوع من الشواني تشبه إلى حد كبير الزوارق التجارية، وكانت تصنع في دور الصناعة ببجاية كما تستعمل في الحروب لرمي النفط واستعملها الحماديون في حصارهم لتونس[1].

2- **الأجفان:** هي السفن عموما غير أنها ترد في بعض المصادر بصيغة أجفان المسافرة ويتضح من السياق أنها خصصت لحمل المسافرين مقابل أجرة تدفع مسبقا[2].

3- **المراكب:** ومفردها مركب وهي قطعة تجارية مخصصة لأغراض التوصيل وكانت تستعمل في أوقات الحرب لنقل الجند والمؤن والسلاح وغيره من العتاد والإمدادات وكانت تصنع في بجاية[3] والحربية تصنع منها في مرسى الخزر.

4- **الزوارق:** مراكب بحرية صغيرة تم استخدامها في حالات الطوارئ مثل انقاذ الأنفس من الغرق أوفي حالة الفرار من العدو عن طريق البحر، كما استخدم لنقل الأشخاص غير المرغوب فيهم.

5- **البطس:** هي من المراكب الكبيرة تحتوي على مجموعة من الطبقات، يوجد في كل طبقة فئة معينة من الجند بأسلحتها، وهمة هذا المركب هي نقل الجند والمؤونة والذخيرة .

6- القراقير والحمالات: هي نوع من المراكب الكبيرة، تتمثل مهمتها في تموين الأسطول، اختصت القراقير في حمل المؤن في حين اقتصرت الحمالات في نقل الذخيرة.

7- الطرائد: جمع طريدة، وهي سنن صغيرة حربية، سريعة الحركة تختص في حمل الخيل للأسطول، وتتسع لأربعين فرسا بالإضافة لنقل المقاتلين والمؤن والسلاح كانت هذه القطعة ضمن الأسطول الموحدي في فتح ميورقة[4]

---

[1] – العشي علي: التوجه البحري، ص524.

[2] – الجعماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية، ص 60.

[3] – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): المصدر السابق ، ص80.

[4] – هناء مناصري ، بن ساحة حبيبة: المرجع السابق ، ص59

8-الغرابين: جمع غراب وهي تشبه الشواني، سمي غرابا لأن مقدمته تشبه رأس الغراب، ومن ميزاته أنه يحتوي على جسر وأثناء اقترابه من سفن العدو يبسط الجسر فيمر الجند. لمقاتلة العدو، وقد اعتمد الحماديين بشكل أكبر على هذا النوع من السفن، لصلابته وقدرته على الحمل والمواجهة، وهو ما جعل الموحدين كذلك يهتمون بهذه القطعة فكانت إحدى أهم القطع في أسطولهم .

9- الحراريق: هي سفن حربية عربية الأصل، تحمل النفط والآلات الحربية مثل المجانيق[1]

10- **الشواني:** جمع شيني أو شونة، تتميز بالطول، شكلها مثل القلعة لاحتوائها على أبراج وقلاع للدفاع والهجوم، وهي أكبر المراكب البحرية، تجذف بمائة وثلاثة وأربعين مجذافا، ومن مهامها محاصرة العدو وتحطيم سفنه، وهو ما قام به أسطول الموحدين في حصارهم للمهدية[2] حيث تكون من سبعين شينيا وطريدة و شلندي[3].

11- **الشلندي:** جمع شلنديات، وهي مسطحة الشكل وكبيرة الحجم، ومن المراكب الحربية لحمل المقاتلين والسلاح، وكذا لنقل المؤونة في حالة الحصار الطويل لفتح المدن، وهي ما استخدمه الحماديون والموحدون من أجل هذا العرض.[4]

ب- دور الصناعة في المغرب الأوسط:

اعتبر ابن خلدون صناعة المراكب ن المظاهر الحضارية وتصنع في مكان خاص يدعى دار الصناعة وهي اسم مكان "أُعد لإنشاء المراكب البحرية التي يقال لها سفن"[5]

[1] – الجعماطي عبد السلام: دراسات في تاريخ الملاحة ، المرجع السابق ، ص68.

[2] – عدلي محمد علي: أوضاع الأسطول الإسلامي في المغرب خلال القرنين الخامس والسادس الهجريين ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة اليرموك ، العراق ، 1998 ، ص168.

[3] – مناصري هناء ، بن ساحة حبيبة: المرجع السابق ، ص57.

[4] عدلي محمد علي: المرجع السابق، ص 169.

[5] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): العبر، المصدر السابق ، ج7، ص 346.

وبالتالي هي مؤسسة رسمية تعنى بصناعة السفن كما تطلق عليها أسماء أخرى منها دار الصنعة وصناعة الإنشاء وصناعة العمائر ودار صناعة البحر وعرفت هذه الصناعة تطور كبير في المغرب الأوسط ومن أهم دور الصناعة في العصر الوسيط نذكر[1]:

1- دار الصناعة ببونه:

نظرا لأهمية بونة ووفرة المعادن والأخشاب حولها اتخذها الفاطميون مركزا هاما لصناعة السفن، وإصلاحها وقاعدة لرسو الأساطيل الحربية منها والتجارية وتشير إليها المصادر ضمنيا بأنها أصبحت قاعدة هامة لتوفير السفن للموحدين على غرار هنين ووهران وبلغت قدرة استيعابها للسفن مائتي سفينة مع مرسى الخرز.

أول من ذكرها من المصادر التاريخية هو ابن خلدون في قوله" واستحث السلطان أساطيل المسلمين من مرسى العدوة وبعث إلى الموحدين بتجهيز أسطولهم إليه، فعقدوا عليه لزيد بن فرحون قائد أسطول بجاية من صنائع دولتهم وأوفى سبته في ستة عشر من أساطيل إفريقية، كان فيها من طرابلس وقابس وجربة وتونس وبونة وبجاية"[2] أي أن بونة قد وفرت السفن لأسطول المرينيين ضد نصارى الأندلس.

2- دار الصناعة ببجاية

ظهرت خلال الفترة الحمادية منذ سنة 461هـ/1069م[3]، وذكرها الإدريسي خلال القرن السادس هجري/ الثاني عشر الميلادي بقوله"و بها دار لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن و

[1] – العشي علي: دور الصناعة البحرية في المغرب الأوسط بين البحث الأثري والتقصي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات (مجلة دورية دولية محكمة) ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر "باتنة 1" ، ع17، ص18.

[2] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): العبر، المصدر السابق ج7، ص345.

[3] – بورملة خديجة: المرجع السابق ، ص55

الحرابي"[1] وقد أنشأها الأمير الحمادي الناصر بن علناس وهي تقع بالجنوب الغربي للمدينة مباشرة على البحر بالقرب من القصبة أين يوجد اليوم حي يسمى دار الصناعة أوالصنعة.
وصاحب الاستبصار يشير إلى دارين لصناعة السفن خلال القرن السادس الهجري إذ يقول: "لها داران لصناعة المراكب وإنشاء السفن"[2]

أما ابن خلدون فقد قال عن البجائيين: "وشرع في ذلك أهل بجاية منذ ثلاثين سنة فيجمع النفراء والطائفة من غزاة البحر، ويصنعون الأسطول ويتخيرون له الأبطال الرجال[3]، كما تحدث حسن الوزان في بداية القرن العاشر/ السادس عشر الميلادي عن دار لصناعة السفن الحربية وصياتنها" [4]

تؤكد المصادر على أهمية قاعدة بجاية ودار صناعتها وقد ساعد على ذلك توفرها على غطاء نباتي كثيف وفر لها الخشب اللازم لبناء السفن هذا فضلا عن توفرها على الحديد والقطران، أما عن السفن التي تصنع بهذه الدار فكانت السفن الحربية بالدرجة الأولى كالغراب والطرائد، بالإضافة إلى السفن التجارية كالجفن.

ويعتبر دار الصناعة في بحماية مختصة في التجارة البحرية، حيث كانت تصنع السفن التي كانت سببا في ثرائها لهذا كانت دار الصناعة البجائية تعد من أهم دور الصناعة الثلاث الكبرى للدولة الحفصية رفقة دار الصناعة في تونس والمهدية[5].

3- دار الصناعة بجزائر بني مزغنة

إن المصدر الوحيد الذي تحدث عن هذه الدار يعود إلى فترة متأخرة وهوابن أبي دينار(ت1110ه/1690م) حين تكلم عن حملة الناصر الخليفة الموحدي[1] على بني غانية،

[1] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560ه/1166م): نزهة المشتاق، المصدر السابق ، ج1، 260.

[2] – مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587ه/1191م): المصدر السابق ، ص180.

[3] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808ه/1504م): العبر، المصدر السابق ، ج6، ص578.

[4] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957ه/1550م): المصدر السابق ، ج2، ص51.

[5] – العشي علي: دور الصناعة بالمغرب الأوسط، ص ص20، 21.

بقوله" فلما وصل إلى جزائر بني مزغنة أمر بإنشاء أساطيل وأخذ في تجهيز العساكر إلى ميورقة ففتحها وقتل صاحبها عبد الله بن إسحاق وقر أخوه يحي ودخل الصحراء

أي أن دار الصناعة في جزائر بني مزغنة تعود إلى الفترة الموحدية بعد ضمها سنة546هـ – 547هـ/1151موقد حاول أحد الباحثين تحديد مكانها في نفس موضع دار الصناعة العثمانية بمحاذاة أو داخل أسوار المدينة.

إن الهجوم الضخم للموحدين "أزيد من الأربعمائة قطعة ودخولها لميناء جزائر بني مزغنة ثم التوجه بها نحو قواعد بن غانية في جزر البليار يعطينا «سورة على كبر وضخامة هذا الميناء واتساع دار الصناعة[2]

4- دار الصناعة بوهران

تعود أول إشارة إليها إلى الحملة التي قادها الخليفة الموحدي عبد المؤمن بن علي خلال حملته الطويلة نحو المغرب الأوسط والأدنى سنة546هـ-547هـ/1151 حيث أمر بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل البلاد وعزم على غزو بلاد الروم في البر فأنشأ منها أربعمائة قطعة أنشأ منها في وهران ومرسى هنين مائة قطعة، غير أننا نتساءل كيف تمكنت دار الصناعة في وهران من توفير هذا العدد من السفن وهي حديثة التأسيس في الفترة الموحدية مما يجعلنا تعتقد أنهم ورثوها عن الفترة المرابطية رغم عدم إشارة المصادر إليها، ودعم هذا القول إشارة الحميري "وقد كانت ذات عمارة دائمة بالسفن والمراكب[3]"،

أما عن السفن التي تصنع بما فهي السفن الحربية التي اشتهر بها الموحدون وهي الشيني والطريدة و الشلندي[4].

---

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن الملقب بالناصر حكم سنة 595هـ/1199م بعد وفاة أبيه يعقوب المنصور لم تعرف فترة حكمه إنجازات تذكر، أنظر: المراكشي عبد الواحد(عبد الواحد بن علي التميمي محي الدين ت647هـ/1249م): المصدر السابق ، ص219-231.

[2] – علي العشي: دور الصناعة في المغرب الأوسط، ص22.

[3] – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): المصدر السابق ، ص613.

[4] – شرقي وردة: مدينة وهران في العصر الوسيط (290-915 هـ/902-1509م) ، (مذكرة ماجستير في التاريخ تخصص المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي) تحت إشراف: عبد العزيز فيلالي ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للحضارة الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، 2013، ص78.

5- دار الصناعة بهنين

أغلب المصادر تعيد تاريخ إنشائها مع دار الصناعة في وهران إثر الحملة الكبيرة للخليفة الموحدي عبد المؤمن نحو إفريقية، حيث أمير بصنع الأساطيل في جميع سواحل بلاده وعزم على غزوبلاد الروم في البر فأنشأ منها أربعمائة قطعة، أنشأ منها في حلق المعمورة ومرساها مائة وعشرين قطعة ومنها بطنجة وسبتة وبادس ومراسي الريف مائة قطعة ومنها ببلاد إفريقية ووهران ومرسي هنين مائة قطعة[1].

ومن خلال العدد الضخم للسفن حيث بلغ مئة سفينة يتضح أنها كانت رفقة دار الصناعة في وهران دار كبيرة وقديمة ربما تعود للفترة الأخيرة المرابطية. وتقع هذه الدار على مستوى الحوض الداخلي للميناء العسكري الذي يقع بدوره ضمن أسوار المدينة التي أحدثها الموحدون، و هو ما يشير إلى العناية الكبيرة بهذه الدار التي مثلت قاعدة مهمة للدولة الموحدية.[2]

[1] – العشي علي: التوجه البحري للمغرب الأوسط ، ص521.

[2] – العشي علي: دور الصناعة في المغرب الأوسط، ص 23.

الفـــصل الـــثالـــث

الأهمية الحضرية للموانئ في المغرب الأوسط

المبحث الأول : الأهمية التجارية للموانئ في المغرب الأوسط

المبحث الثاني : الأهمية العسكرية لموانئ المغرب الأوسط

المبحث الثالث : الأهمية السياسية لموانئ المغرب الأوسط.

المبحث الرابع: الأهمية الثقافية والاجتماعية لموانئ المغرب الأوسط.

المبحث الأول : الأهمية التجارية للموانئ في المغرب الأوسط

أ- الطرق البحرية

إن المتمعن في خريطة المسالك والطرق البحرية المتجهة من و إلى المغرب الأوسط يكتشف أنها تنقسم إلى أربعة أصناف رئيسية نذكرها بشيء من التفصيل.

- **الخط البحري الرئيسي الرابط بين المغرب الأوسط والمشرق الإسلامي:**

يعتبر من أنشط الخطوط على الإطلاق،لأنه مسلك الحجاج المسلمين والنصارى الذين كانت البحرية الإيطالية تتولى نقلهم إلى الديار المقدسة ، كما ارتبطت منطقة بلاد المغرب مع مصر وبالتالي المشرق ، بعلاقات تجارية قوية منذ عقود رغم بعض التوترات السياسية ، وهذا طبيعي نظرا لطبيعة الجوار من جهة والدين الإسلامي من جهة أخرى، بالإضافة إلى وقوع مصر على الطريق الرئيسي لحجاج إفريقية والمغرب إلى الأراضي الحجازية من جهة أخرى

ولاشك أن ذلك ساعد في تنشيط حركة التجارة، فكان هناك الطريق البحري الذي يربط بين موانئ الشمال الإفريقي ومصر عبر البحر المتوسط والطريق الساحلي الموازي لهذا البحر، ثم الطريق الصحراوي عبر الواحات المنتشرة في أنحاء الصحراء الإفريقية.

وبعد سيطرة القبائل الهلالية على إفريقية وجنوب المغرب الأوسط في بداية منتصف القرن الخامس الهجري/11م، واختلال الأمن بالطريق البري دفع بتجار وحجاج المغرب إلى استخدام البحر بشكل قوي ، مع اشتداد حركة القرصنة النورمانية ومخاوف التجار والحجاج من أهوال البحر ومخاوفه.

ويذكر ابن خلدون " أن وزير السلطان الزياني أبي تاشفين وهو هلال الكطلاني قد ركب البحر حاجا من تلمسان نحو الأماكن المقدسة مما يدل على وجود طريق بحري للحج مباشر

من تلمسان نحو الإسكندرية ومنها نحو الحجاز ولعبت بلاد المغرب دور الوسيط بين المدن الإيطالية التجارية وبلاد المشرق ، أي نقلت تجارة الغرب الأوروبي نحو المشرق .

كما يغذي هذا الطريق الساحلي مجموعة من الطرق الداخلية كروافد له منها طريق قسنطينة نحو بونة أو قسنطينة نحو بجاية ومنها تونس.

- **الطريق الرابط بين المغرب الأوسط وبلدان المغرب الإسلامي.**

تؤكد لنا كتب التاريخ القديم استمرار وجود الخط البحري بين المغرب الأوسط ودول بلاد المغرب حيث تحدد المسافة بين طبرقة على سكيكدة بيومين من الإبحار مع وجود استراحة بينهما ، وأن المسافة المقطوعة من قرطاج إلى أعمدة هرقل مرورا بالمغرب الأوسط تستوجب سبعة أيام في ضل ظروف سانحة للإبحار.

كما تفيدنا كتب المناقب بالطريق البري الرابط بين مدن المغرب الأوسط ومدن المغرب الأقصى والمغرب الأدنى ، ومثال على ذلك ركب الحج الذي تأخر عنه الشيخ سيدي أبو يعقوب البادسي الذي مر بوادي كرط بجبال الناظور المغربية ومنها تلمسان ومنها بجاية ، أين لحق بالركب ومنها إلى المغرب الأدنى.

كما يقدم لنا عبد الرحمان ابن خلدون مثالا هاما للنقل البحري عبر موانئ المغرب الأوسط وصولا إلى المغربين الأدنى والأقصى ومنها ما ذكره عن خط بحري رابط بين بجاية و بونة [1]

الطرق الداخلية: هذه الطرق كانت تربط المدن الداخلية بالساحلية و أيضا الساحلية ببعضها البعض في المغرب الأوسط فمن هذه الطرق نذكر:

- الطريق بين جزائر بني مزغنة إلى بجاية أربعة أيام.
- بين جيجل ومرسى القل 70 ميلا بين الجزائر وشرشال من ساحل المغرب الأوسط 70 ميلا.

[1] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): العبر ، المصدر السابق ، ج6، ص529.

– بين مرسى الدجاج والجزائر 38 ميلا وبينها وبين تنس مرحلتان.

– بين وهران والمرسى الكبير ميلين وبينها وبين تنس 204 ميلا.[1]

وهناك شبكة طرق أخرى تربط بين تلمسان والمدن الساحلية والداخلية الأخرى مثل مازونة ومستغانم ، وبعض أسماء هذه الطرق كان معروفا مثل طريق أخندقان بين تلمسان وندرومة.[2]

- **الطريق الرابط بين المغرب الأوسط مع جنوب أوربا:**

ظهرت خطوط بحرية تربط جنوب أوربا أو بالأحرى الجمهوريات الإيطالية خصوصا جنوة والبندقية بموانئ المغرب والمشرق الإسلامي:

– **خط جنوة مع المغرب الأوسط:** يمر بهنين ثم مرسيليا وبرشلونة وخط البندقية بلاد المغرب الطي يمر بالإسكندرية ، أما الخط المباشر يكون بين المدن الإيطالية ومدن المغرب الأوسط خاصة البندقية وهنين[3].

– **خط البندقية ببلاد المغرب الأوسط:** تسمى فينيسيا أو البندقية التي تقع على الساحل الشمالي للبحر الأدرياتيكي ، والبندقية شهدت تعاملات تجارية مختلفة مع مدن الساحل للمغرب الأوسط خصوصا بجاية تصدر إليها السلع وتستورد منها.

– **خط جنوة إيطاليا مع المغرب الأوسط:** كان هناك طريق مباشر بين ايطاليا والمغرب الأوسط حيث كانت السفن تنتقل مباشرة عبر هذا الطريق بالخصوص بين البندقية وهنين ، السفن الإيطالية عند توجهها في بعض الأحيان مباشرة إلى موانئ المغرب الأوسط فهي تقطع

[1] – عشي علي: التوجه البحري ، المرجع السابق ،ص54.

[2] – ابن بطوطة أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي(ت770هـ/1368م): المصدر السابق ، ص765.

[3] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ،ج2، ص15.

مسافة بين سردانية وبين تنس وبعد وصولها تنتقل إلى مازونة فمستغانم ثم إلى تلمسان وكانت مدة الرحلة تقريبا حوالي عشرة أيام بين سردانية وتنس[1]

- **خط بيزا مع المغرب الأوسط:** تقع على البحر التيراني وتمر بهذه المدينة نهر أرنو وكانت المنفذ الرئيسي لسهل تسكانا.

- **خط فرنسا مع المغرب الأوسط:** كانت هناك علاقة تجارية تجمع فرنسا بالمغرب الأوسط ، حيث كان التجار الفرنسيون يترددون عليها طوال القرنين 7-8هـ /13-14م، وتعامل أهل بجاية مع مدينة مرسيليا بسبب الموقع الذي يطل على البحر الأبيض المتوسط وقرب المسافة بينهما.

- **خط فلورنسيا ببلاد المغرب الأوسط:**كانت تخرج سنويا سفينتان من ميناء فلورنسيا إلى السواحل الشمالية لبلاد المغرب مرورا بجنوة ثم تونس وعنابة والقل وبجاية وتواصل طريقها نحو غرب موانئ المغرب الأوسط وهران وهنين إلى غاية المغرب الأقصى.

- **خط برشلونة ببلاد المغرب الأوسط:** كان هناك خط يربط بين برشلونة ببلنسية ثم جزيرة ميورقة ملتقى خطوط الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ومن هنا يتجه شمالا إلى مدن جنوب فرنسا أو جنوبا إلى موانئ المغرب.[2]

جذبت بلاد المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط الكثير من التجار سواء كانوا مسلمين أو نصارى لاقتناء منتوجات هذه البلاد أو تزويدها بما تحتاجه من سلع فقد لعبت البلاد دور الوسيط التجاري بين دول عديدة وجرت في موانئه عمليات تجارية كبرى.

[1] - حامدي الهدون: العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية من القرن 6هـ-12م حتى القرن 10هـ-16م ،(أطروحة دكتوراه ل م د في التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط)، تحت إشراف بن داود نصر الدين ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان ، الجزائر ، 2019، ص

[2] - ميلودي زهرة: المرجع السابق ، ص ص ،189،188.

- **الخط الرابط بين المغرب الأوسط وبلاد الأندلس:**

إن طبيعة المغرب الأوسط الجغرافية جعلت من الطرق البحرية الرابط التجاري الأساسي بينه وبين بلاد الأندلس حيث كانت مراسي بلاد المغرب الأوسط على اتصال مباشر بموانئ البحرية الأندلسية ، لذا كان التبادل التجاري بين المغرب والأندلس كبيرا وسهلا ويسيرا وقد ربطت بينهما خطوط بحرية ، منها الخط البحري بين مالقة وتنس التي أنشأها البحريون الأندلسيون إضافة إلى خط ألمرية وهران .

وقد أفرد البكري قسما خاصا للحديث عن أهم بلاد المغرب الأوسط وما يقابلها من مراسي الأندلس ، موضحا مدى قرب هذه المراسي من المدن والموانئ الأندلسية حيث يشير إلى أن مدينة أرشقول تقابلها من بر الأندلس قابطة بني أسود ، ومرسى وهران يقابله مدينة بجانة وبينهما مجريان ونصف ومرسى مدينة تنس يقابله مرسى شنتبول ، ومرسى جزائر بني مزغنى الذي تفصله ست مجار عن مرسى بنشكله ، وهو ما يؤكد عمق التبادل البحري بين المغرب الأوسط والأندلس .

وهكذا ساعد الوضع الجغرافي لكل من بلاد المغرب الأوسط والأندلس في ارتباط الأخيرين عن طريق البحر بمسالك بحرية قصيرة ، إذا ما قارناها بمناطق أخرى ، ولذا كان البحر ومعابره المائية جسرا انتقلتعبره مختلف المتاجر بين البلدين.[1]

ب- صادرات وواردات المغرب الأوسط

1- واردات المغرب الأوسط:

أ- **التوابل:** شكلت التوابل إحدى أهم واردات بلاد المغرب الأوسط وذلك لقيمتها التجارية حيث تعد من البضائع الخفيفة الوزن والغالية الثمن ، ولقد لعبت مصر دور الوسيط التجاري في

[1] – فيلالي عبد العزيز : العلاقات السياسية بين الدولة في الأندلس والمغرب ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2007، ص05.

توزيع هذا النوع من السلع حيث وصلت هذه التوابل من مصر والإسكندرية عبر الموانئ من طرف التجار المسلمين أو النصارى[1]، قادمتا من الجزر الايطالية وتمثلت التوابل في مجموعة من المنتجات الزراعية كالفلفل والكافور والزنجبيل والزعفران والقرنفل،واشتد التنافس بين الجمهوريات الإيطالية لتزويد دول المغرب بالتوابل.[2]

ب-القمح : كان دول المغرب الأوسط تستورد القمح أحيانا ، عندما ينخفض الإنتاج بسبب الجفاف الذي ينتج عن ذبذبة الأمطار أو بسبب الحروب التي تفسد الزرع كما حدث أثناء حصار تلمسان حيث اضطرت الدولة إلى استيراد كميات هامة

ت-الحلي : تستورد على شكل مجوهرات يجلبوها من الهند و الخليج العربي ، ونقل الإيطاليون كميات كبيرة من الأدوات الزجاجية إلى كل المدن الساحلية المغربية.

ث- المواد النسيجية : منها الأقمشة والأغطية و قد اهتم الأوربيون بصنع بعض الأقمشة التي التي يقبل عليها المغاربة و أدخلوا إلى أسواق تلمسان كميات كبيرة ومتنوعة من الأقمشة كالأقمشة والأغطية القطنية كانت تصنع في البندقية وبيزا وتميز في الغالب بلونها الأزرق الذي كان ملوك تلمسان يفضلونه وهناك الأغطية والأقمشة الكتانية والقطنية الناعمة والخشنة الخاصة بالفنادق والمخازن ، وأيضا الأقمشة والأغطية الصوفية الشبكية البيضاء والسوداء والشملة[3].

ج-السفن : كان المغاربة يشترون السفن من المسيحيين وخاصة منهم البنادقة والجنويين لأن هذه الصناعة كانت متطورة عندهم وقد تدخلت الكنيسة التحريم بيعها وبيع أدوات الملاحة للمسلمين بسبب الحروب الصليبية بالرغم من ذلك فقد كان الإيطاليون يبيعون هذه السلع في

[1] – بورملة خديجة : المرجع السابق ،ص151.

[2] – حامدي الهدون : المرجع السابق ،ص358.

[3] – ذباح نجية ، فطيمة بومسلي : ص40.

جميع موانئ بلاد الغرب[1]، كما استوردت بعض الأنواع من مادة الخشب ، التي كانت مطلوبة في مختلف الإمارات المغربية ، زيادة على أن الإنتاج المحلي ، كانت صناعة هذه السفن تقتضي توفر الأخشاب وهذا وجد في أماكن متعددة من المغرب الأوسط ولاسيما غابات القطاع القسنطيني التي اشتهرت بأشجارها الصالحة لعمل المراكب ولقد ظهر من المراكب في العهد الزياني أنواع متعددة وأشكال مختلفة منها قطع الأسطول الحربية الكبيرة ، والسفن التي كانت تصل إلى موانئ تلمسان سفن مختلفة منها البسطة الجفنة ، الشونه ، الطراد[2].

ح- المعادن: كان المغرب الأوسط يستورد المعادن منذ القرن الثالث عشر الميلادي السابع هجري و كان يأتي به التجار على أشكال مختلفة : قطعا و صفائح و خيوطا و كانت الأواني النحاسية تدخل أسواق عامرة بني عبد الواد على طريق غرناطة .

خ- الأسلحة : كان الأوربيون يجلبونها من إيطاليا و ألمانيا خاصة تلك التي لم تكن تصنع في بلاد المغرب و منها الزرود و الخودات و الرماح و الدروع و الخناجر رغم قرارات المنع من الكنيسة في روما[3].

2- صادرات المغرب الأوسط:

شملت صادرات دول المغرب الأوسط والتي كانت الموانئ معبرا لها في عدة مواد متنوعة نذكر منها :

أ- الذهب : تسابق التجار المغاربة نحو بلاد السودان لاقتناء الذهب الذي كان متوفر بكثرة بقاو وأودغست وغانة وجازف التجار وسط الصحراء وراحوا يبحثون عنه لأجل بيعه للتجار الأوربيين الذين قصدوا المغرب للحصول عليه ، وكان ذهب السودان يغذي ما يقرب من نصف حاجة

[1] – بشاري لطيفة : المرجع السابق ، ص224.

[2] – المرجع نفسه: ص ص 95،96.

[3] – ذباح نجية ، فطيمة بومسلي : المرجع السابق ، ص42.

عالم البحر المتوسط، وإلى جانب الذهب يتزود التجار المغاربة ببضائع إفريقية متنوعة تساهم في الزيادة في الأرباح مثل الشب ، والتوابل ، والمسك ، والجلود والعاج وريش النعام.[1]

ب- العبيد: ارتبطت تجارة الذهب بتجارة العبيد باعتبار أن مصدرها واحد وهو بلاد السودان وكان يجلب من سوق غاو، إذ شكلتا بضاعتين رئيسيتين وأساسيتين في قائمة السلع التي يجلبها المغاربة من بلاد السودان وكان العبيد مثل الذهب يأتي التجار الأوربيين لاقتنائها من المغرب، وأسعارهم تختلف حسب الأزمان والأعمار والجنس وتقلبات قانون العرض والطلب[2].

وقد اشتهرت مدينة تلمسان بهذه التجارة، وكذلك ميناء بجاية عرف بالمتاجرة بالعبيد إضافة إلى القرصنة التي كانت مصدرا هاما للعبيد والرقيق.

ت- المواد الغذائية: كانت بلاد المغرب الأوسط منطقة إنتاج وفير لمختلف المحاصيل الزراعية كالحبوب من قمح وشعير التي تنتج في الجهة الغربية للمغرب الأوسط والفائض من الإنتاج يصدر إلى أوربا فتحملها السفن من وهران إلى مرسيليا ومن هنين إلى برشلونة وميورقة.[3] إضافة إلى الفواكه على أنوعها كالتين الذي يصدر إلى كثير من الأقطار[4] و الزبيب من النوع الجيد ، وعين البقرة التي كان يقبل عليها الإيطاليون فكان سعرها مرتفع مثل سعر القمح[5] ومن

[1] – بورملة خديجة : المرجع السابق ، ص140.

[2] – بودواية مبخوت : العلاقات الثقافية والتجارية للمغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد ولد بن زيان ()، إشراف عبد الحميد حاجيات ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والإجتماعية ، جامعة أبي بكر بلقايد ،تلمسان،2006 ، ص 330.

[3] – بشاري لطيفة : المرجع السابق ، ص195.

[4] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق، المصدر السابق ،ص57.

[5] – الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي (ت 727هـ/ 1327م): المصدر السابق ، ص138.

الصادرات أيضا التمور التي كانت تصدر نحو أوربا ويحتكر الأورغوانيون كميات كبيرة منها ، وكان الإيطاليون يشترون الفواكه المجففة كاللوز والجوز[1].

ث- الصوف والجلود: كانت بلاد المغرب الأوسط تزخر بثروة حيوانية كبيرة ، جعلت من الإنتاج المرتبط بها ، والمتمثل في إنتاج الصوف والجلود من أهم صادرات هذه البلاد إلى البلدان المتوسطية وخاصة الأوربية ، حيث كان التجار الأوربيون عموما والإيطاليون على وجه الخصوص يتنقلون بين موانئ المغرب الأوسط لاقتناء الصوف والجلود سواء كانت هذه المواد خام أم مخدومة.

و كثرة الطلب على الصوف المغربي كان مرتبطا بتطور صناعة النسيج في أوروبا، وخصوصا بالبلدان المتوسطية على غرار إيطاليا ودول شبه الجزيرة الإيبيرية وجنوب فرنسا ولذا كان المغرب لفترة طويلة واحدا من أسواق التمويل الأكثر أهمية وخاصة مدينة بجاية بالنسبة للمغرب الأوسط ، حيث غالبا ما تتم الإشارة إلى صوف بجاية سواء في شكل زجج بدهنها أو مغسولة[2]

ج- الخيول: الخيول والجلود الخيول العربية والبربرية من السلع التي تصدرها المغرب مقابل السلع والمنتجات التي يتلقاها المغرب من الدول الأخرى . هذا إلى جانب السمك المقدد .

ح- الشمع: من المنتجات المتوفرة بكثرة وخاصة في منطقة المغرب الأوسط في مدينتي بونة وبجاية حيث أمدتا هاتين المدينتين أوروبا بما يسد احتياجاتها من الشمع حتى أطلقت فرنسا على الشمعة اسم بجاية (Bougie) وهذا يبرهن لنا إلى أية درجة كانت أوروبا معتمدة على استيراد هذه السلعة من المغرب الأوسط.

[1] – ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي الموصلي(ت367هـ/977م): المصدر السابق ،ص78.

[2] – بورملة خديجة : المرجع السابق ،ص 143.

خ-زيت الزيتون: هو من أهم الموارد الأساسية في الثروة المغربية . حيث يقومون بإنتاجه منذ عهد الرومان فقد تمتع زيت بجاية بشهرة واسعة في العصور الوسطى.[1]

المبحث الثاني : الأهمية العسكرية لموانئ المغرب الأوسط

اقتضت الطبيعة الجغرافية للمغرب الأوسط الاهتمام ببناء أسطول بحري يحمي شواطئها المترامية الأطراف على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط حيث اهتم حكام الدويلات في مختلف فتراتها بتأمين حدودها من غارات المعتدين.[2]

تعتبر القوة العسكرية الركيزة الأساسية لتثبيت كيان الدول ورعايتها إما داخليا أو خارجيا لصد الأخطار التي تهددها ومنذ القرن5ه/ 11م والبحرية في المغرب الأوسط عرفت نوعا من الاستقلال عن باقي الأساطيل في بلاد المغرب ، وقد لعبت المراسى دورا كبيرا في الصراعات بين المسلمين والنصارى[3]

فميناء بونة نشأت فيه السفن والمراكب البحرية التي تغزى بها بلاد الروم التي يقصدها مختلف الغزاة بحكم قربها من سردانية . ويقول البكري :" من مرسي بونة تخرج الشواني غازية إلى بلاد الروم وجزيرة سردانية "[4] وهو ما جلب لها الأعداء ومهد الطريق لغزوها حيث قام الأسطول التابع لبيزا وجنوة بالاستيلاء على بونة سنة 528-529ه/1134م ، كما تحدثت

[1] – ريحاب محمد كمال محمد أحمد المغربي : التجارة في عصر بني حماد ، بحث مقدم، إشراف (البيومي إسماعيل الشربيني ، علاء طه رزق حسين)، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة دمياط ،مصر،2015، ص17.

[2] – روجي إدريس الهادي : الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيريمن القرن 10إلى 12م) ، تر(حمادي الساحلي) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992، ج2، ص145.

[3]– عودة بناي ، توديات صليحة : المرجع السابق ،ص38.

[4] – البكري أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز(ت487ه/1094م): المسالك والممالك ، المصدر السابق ،ص750.

أخبار جنوة على الهجوم الذي شنته 12 سفينة شراعية على بجاية سنة 530-531هـ/1136م.[1]

أما في بجاية فقد اهتم الحماديون بإنشاء الأسطول الحربي ، مع تأسيس الناصر بن علناس العاصمة الجديدة بجاية ، لأن هذه المدينة تتمتع بمقومات هامة لتكوين بحرية عسكرية لتوفرها على دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي بالإضافة إلى تعدد الموانئ على طول الشريط الساحلي للمدينة الحمادية،مع توفر المادة الأولية لصناعة السفن ، وقد كان للميناء نشاط عسكري هام تمثل في الصراع مع أبناء عمومتهم الزيريين فنجد نشاط البحر أكثر فعالية مع الزيريين ويعود هذا إلى توتر العلاقات بينهما منذ تأسيس الدولة الحمادية وانفصالها عن الزيريين سياسيا ومذهبيا فلقد كاد الأسطول البجائي حملات ضدهم فالحملة الأولى في عهد العزير ابن المنصور[2](498-515هـ/1105-1121م)حيث اتجه الأسطول نحو جربة وتمكن من إخضاعها وإدخالها تحت طاعتهم[3] والحملة الثانية (522هـ/1129م) حيث اتجه الأسطول الحمادي نحو المهدية بطلب من أهلها إلا أنه لم يفلح في دخولها فرجع ناكصا على عقبيه ، والحملة الثالثة قاد يحي بن عبد العزيز حملة أخرى على المهدية سنة (529هـ/1135م) حيث حاصر المدينة سبعين يوما برا وبحرا لكن رجع الأسطول مهزوما بعد

[1] – روجي إدريس الهادي : المرجع السابق ،ج2، ص297.

[2] –هو العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس استوطن بجاية وبد ولايته بها دام حكمه حوال 17 سنة شهد عهده استقرار الدولة ،أنظر ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين (ت776هـ/1374): المصدر ، ص99.

[3] – ابن خلدون عبد الرحمن أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي(808هـ/1504م): العبر ، المصدر السابق، ج6 ، ص234.

أن أمد الملك روجار العون للحسن بن علي صاحب المهدية.[1] إضافة إلى هذا كان للأسطول دور في صد هجمات النورمان على شمال إفريقية[2].

وفي العهد الموحدين وبعد قضائهم على المرابطين في المنطقة الغربية جاء دور الحماديين في الوسطى ففتحها عبد المؤمن سنة ستة أربعين وخمسمائة صلحا كما ذكرت المصادر: " حتى وصل مدينة الجزائر، فدخلها صلحا وأمن أهلها وخرج عاملها فارا على بجاية ولم يشعر ابن حماد صاحب بجاية للقدوم عبد المؤمن إليه حتى وصلها عامله إلى الجزائر مخرجا منها ، فأخبره بقدوم عبد المؤمن عليه وتملكه الجزائر".

عند وفاة الخليفة يوسف أبي يعقوب، خلفه ابنه المنصور بن يوسف (580-595هـ /1184-1198م) حيث كان المغرب الأوسط في حالة فوضي عقب دخول ابن غانية إلى بجاية وقيامه بالثورة على الموحدين حيث اقتتلوا في بجاية سنة 580 هـ / 1198 م أعاد به فتح الجزائر وبجاية ومدن أخرى دخلت ضمن ثورة ابن غانية ، ويشير ابن عذارى المراكشي إلى ذلك القول : " وسقيت الأساطيل ففتحت مدينة الجزائر قبل وصول أهل البر ضربت الطبول في يوم واحد مع فتح الجزائر وملیانة وقبض على يحي صاحب الجزائر وتقدم القائد أبو العباس الصقلي إلى بجاية بقطعة واحدة مع بعض أهل البلد ودسوا لهم فيما ورائهم من الجيوش الواصلة فلما وصل الأسطول إلى بجاية ضجة العامة وفتحت الأبواب ودخلت عمائر الأساطيل وبها عاد الأمن والاستقرار إلى المغرب الأوسط ولو مؤقتا.

[1] – عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، تر: أمين توفيق الطيبي ، (د ط) ، الدار العربية للكتاب ، (د ب ن) ، 1980، ص64.

[2] – مناصري هناء ، بن ساحة حبيبة : المرجع السابق، ص65.

كذلك في عهده حرك أساطيله باتجاه ميورقة للقضاء على ابن غانية، ثم شرشال وعندما تصل إلى المنطقة الغربية تمكث بها عدة أسابيع للراحة والتبادل التجاري ثم تواصل سيرها إلى المدن الساحلية بالبلاد الأندلسية وهي آخر محطة لها في الذهاب.

ومحطة المرية كانت أهم مركز تجاري وأخر محطة بالنسبة للكثير من التجار والسفن التجربة وذلك حسب الاتفاقيات المقصودة خاصة مع تجار بيزا ، وفي طريق العودة تغادر هذه القوافل وهران إلى بلدانها الأوروبية في أغلب الأحيان تمر من مستغانم ثم تنس ثم شرشال وبعدها جزائر بني مزغني.

وبعد وفاة الخليفة يعقوب المنصور خلفه ابنه الناصر[1] (585- 610 هـ/ 1213-1198م) فعادت الأمور إلى حالها من الفوضى و محاولات الانفصال وفي إطار حملاته لإرجاع الأحوال إلى صاحب عهدها خاصة في افريقية والأندلس حتى المغرب الأوسط من الأمن والاستقرار وصل الناصر سنة 600 هـ/ 1203م إلى جزائر بني مزغني فأخذ يجهز الأساطيل والعساكر لقتال مدينة ميورقة حتى فتحها وانتزعها من بقايا المرابطين[2].

لكن الأوضاع لم تستقر في عهده ولا في عهد الخلفاء الذين جاءوا بعده، فقد بدأ الحفصيون في تأسيس دولتهم على أنقاض الموحدين وبدأ الانشقاق في كل أقاليم الدول التي بدأت سنة 515 هـ/1121م بدعوة دينية حتى تمكنت من توحيد المغاربة الثلاثة إضافة إلى الأندلس لتأتي نهايتها بعدما جاءت داخل أركان الدولة وخارجها سنة 668هـ/1268م، لتلتحق بركب الدول التي سبقتها كالحماديين والمرابطين لتصبح ضمن التاريخ بعدما كانت تصنعه[3].

[1] – هو أبو عبد الله محمد بن يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، يلقب بالناصر لدين الله قام بحصار المهدية وفتحها سنة 602هـ ،انظر الزركشي (خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس(ت1336هـ/1917): المصدر السابق ،ص ص،18،17.

[2] – ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(كان حيا سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح : ج س كولان و إ بروقنسال ،ج1 ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ، ص 178.

[3] – عوده بناي ، صليحة توديات : المرجع السابق ، ص58.

بينما كانت وهران تحت حكم سلطة الحزربين المغراويين، الذين كانوا يخضعون أحيانا للفاطميين الشيعة،وأحيانا أخري للأمويين بالأندلس حتى انتزعها منهم المرابطين سنة 473هـ/1081م، واتخذوها قاعدة بحرية هامة لجزء أسطولهم البحري الحربي نظرا لأهمية مراسيها من الناحية الطبيعية والإستراتيجية , إذا كان التجار في وهران يجهزون على الدوام سفنا شراعية ، وأخري مسلحة يمارسون بها الغزو[1]، بالإضافة إلى تجهيز أساطيل تتألف من سفن النقل أكثر مما تتألف من سفن القتال ، وذلك لأن الغرض الأساسي من إنشاء الأسطول هو حفظ المواصلات بين المغرب والأندلس ونقل الجند ، وقد استخدم الأسطول في فتح بلنسية والبليار وجزر بابسة منورقة وميورقة ، واجتازوا كذلك سواحل فطالونيا حتي أصبحت المدينة تزخر بأسرى المسيحيين.[2]

بقيت المنطقة الغربية تحت حكم المرابطين في حين كانت المنطقة الشرقية والوسطى في يد الحماديين حتى قامت الدولة الموحدية ، واكتسحت المغرب الأوسط من أجل توحيد المغرب الأقصى والأندلس، وأخذت بعد ذلك تتجه لضم المغرب الأوسط من أجل توحيد المغرب الإسلامي تحت لوائها، وكانت المنطقة الغربية وهران أول ما تم فتحه من قبل الموحدين[3].

وقد جاء في إطار الصراع بين اللمتونيين والموحدين أن تاشفين بن علي نزل في وهران سنة 539هـ /1145م ،حيث جهز قطعا من الأسطول عند مرسى وهران خلال حربه مع عبد المؤمن لا دعما للجيش المقاتل في تلمسان وإنما ليهيئ طريقا للهروب إذا ما اضطر لذلك وكانت المدينة على البحر ومار إلى بر الأندلس ، يقيم بها لأنها تقابل مدينة المرية من شرق الأندلس ، التي كانت تمدها بالغذاء والتي كانت قاعدة الأسطول المرابطي .

[1] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المصدر السابق ،ج2 ، ص30.

[2] – عودة بناي ، تودیات صلیحة : المرجع السابق ، ص70.

[3] – بوعزيز يحي : الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2009، ص40.

وكان يقود الأسطول ابن ميمون الذي كان بإمكانه أن يحضر بسهولة لإنقاذ الأمير إن ساءت الأحوال وتفاقمت، وأغلب الظن أن هذه كانت الفكرة الرئيسية في اللجوء إلى وهران بدل الصراع في تلمسان– البعيدة عن البحر نسبيا – كما أنه كان للمرابطين، وفي ظاهر وهران ربوة على البحر تسمى صلب الكلب ، وبأعلاها رباط يأوى إليه المتعبدون ، وفي ليلة 27 من شهر رمضان سنة 539ه/1145م، صعد يوسف بن تاشفين إلى ذلك الرباط ليحظر الختم في جماعة من خواصه، وكانت جيوش الموحدين متواجدة هي الأخرى بوهران،وقد حاصرت جيوش الموحدين بقيادة أبي حفص الرباط في 26 رمضان سنة 539ه/1145م "، أي قبل يوم من الاستيلاء عليه وأطلق النار في باب حصن الرباط ، فخرج تاشفين على فرسه الذي تركه ومات ، فلما وجده الموحدون ميتا قطعوا رأسه وبعثوا به إلى عبد المؤمن الذي ضربه ووجهه إلى تينمل فسمي ذلك الرباط صلب القتح.[1]

وفي سنة557ه/1162م قام أمير المومنين عبد المؤمن بإنشاء الأساطيل في جميع سواحل البلاد الموحدية،إذ انشأت منها بلاد وهران، ومرسى هنين مائة قطعة ، فالدولة الموحدية امتازت عن غيرها من دول المغرب والمشرق خلال هذه الفترة بقوتها البحرية ، وكثرة أساطيلها المتنوعة الأشكال كالغربان ، الطرائدة ، الشوانى، الزوارق والمراكب.[2]

المبحث الثالث : الأهمية السياسية لموانئ المغرب الأوسط.

لقد كان لموانئ المغرب الأوسط أهمية سياسية عظمى نظرا لما تحققه من خلال الاتصال بدول ما وراء البحر وسنعرض في هذه العجالة العلاقات السياسية مع الجمهوريات الإيطالية والعلاقة دول جنوب فرنسا ومع العدوة الأندلسية والغرب الإسلامي، ومع دول الشرق الإسلامي من خلال هذه الموانى .

[1] – ابن عذارى أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي(كان حيا سنة 712ه/1312م): المصدر السابق، ج2،ص126.

[2] – الجيلالي عبد الرحمن : تاريخ الجزائر العام ، ج2، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2009 ، ص 49.

1- العلاقة مع الجمهوريات الإيطالية: العلاقات التي كانت بين الطرفين لم تخرج عن الاتفاقيات والمعاهدات التجارية ، وأن التجارة هي الرابط الوحيد بينهما ، فقد حتمت المصلحة الاقتصادية أن تكون العلاقات ودية وسلمية وحتى أن هذه العلاقة بقيت مستمرة حتى بعد الغزو الاسباني واحتلال المرسى الكبير (911هـ/1505م) وميناء وهران(915هـ/1509م).[1]

ركزت الجمهوريات الإيطالية الثلاث (بيزة – جنوة – البندقية) على مصالحهم التجارية في علاقتهم بالمغرب الأوسط حيث كانت تسعى إلى أن تتوصل بهدوء إلى عقد اتفاقيات لم تخلو من امتيازات معه ، لكن هذا الأمر و العلاقة الودية وحسن المعاملة بين الطرفين لا ينفي وجود عمليات قرصنة من حين لآخر تتمركز في أغلبها في الجهة الشرقية من المغرب الأوسط، وقد اعتبرت القرصنة عامل تشويش قوي في العلاقات السياسية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية وإن كانت قليلة بالمقارنة مع الدول المسيحية الأخرى ونتج عن هذه العملية ما يعرف بالأسرى وكانت الدول تسعى جاهدة لافتداء أسراها[2]

وكان أغلب القناصل تجار تعينهم حكوماتهم طبقا للاتفاقيات المبرمة مع الدولة الزيانية وكان لكل جمهورية إيطالية أكثر من قنصل يمثلونهم في المدن الساحلية المهمة مثل وهران وهنين والمرسى الكبير، حيث كان السلاطين الزيانيين يتركون حرية التصرف للإمارات الإيطالية لتعيين من يدير شؤون الكنائس في الإمارة وكان التقليد يأتيهم من أساقفة مدنهم وكان القناصل يسكنون الفنادق ، وأصبح لهم فندق خاص في تلمسان وآخر في وهران ، وكانت موانئ وهران والمرسى الكبير تستقبل سفنهم الكبيرة التي كانت تقيم أكثر من عشرة أيام.

[1] – الوزان حسن محمد بن الوزان الفاسي (ت957هـ/1550م): المرجع السابق ، ج2،ص9.

[2] – مزرودي فاتح: مظاهر العلاقات السياسية الزيانية مع الأندلس والغرب المسيحي ، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة البليدة ، الجزائر ، مج12، ع1، 2019، ص95.

2- العلاقة مع دول جنوب فرنسا: ولقد كانت العلاقات بين المغرب الأوسط وجنوب فرنسا لم تتعدى الجانب الاقتصادي التجاري ولقد كانت منتظمة منذ النصف الثاني من القرن 13م حيث أن الفرنسيين يتاجرون في موانئ بجاية ووهران وتمتع تجارها بجميع الامتيازات التي تحصل عليها التجار الأوربيين ، حيث كان لديهم فندق بوهران إلى جانب بعض المراكز التجارية التي كان يشرف عليها قناصل مستقرون.

3- العلاقة مع الأندلس :استطاع حكام وسلاطين المغرب الأوسط استثمار الجالية الأندلسية التي فضلت الاستقرار بمدن وحواضر المغرب الأوسط لتدعيم أركان الدولة والاستفادة من خبراتهم. ويتعلق الأمر بإسناد أسمى الوظائف والمناصب للنخبة

يؤكد جورج مارسي بأن "هؤلاء الوافدين من أهل الأندلس أصحاب مال وصنائع وثقافة، تفوقوا على سواهم في العلوم بصفة عامة وفي الفنون والآداب بصفة خاصة، ونالوا مكانة متميزة في الوسط الاجتماعي وجلبوا اهتمام السلاطين والحكام" فالسلطان يغمراسن قام بتقريب عدد منهم مثل الفقهاء الأعلام في وظائف مختلفة فأبي بكر محمد بن عبد الله بن الخطاب المرسي الأندلسي كاتبا للرسائل. و ابن وضاح في وظيفة الخطبة والشورى و أبو محمد عبدون بن محمد الحباك في وظيفة الخطابة والقضاء.

أما في عهد السلطان عثمان بن يغمراسن وابنه أبي حمو موسى الأول فقد قام بتقريب أسرة بأكملها عرفت باسم بنو الملاح من قرطبة وأسند لها أربعة وزارات مختلفة محمد بن ميمون بن الملاح بين وزارة المال و الحجابة في آن واحد، وعين ابنه محمد الأشقر من بعده، ثم ابنه إبراهيم بن محمد على نفس الخطة بعدهما وأشرك معه في الوظيفة من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح محمد بن علي بن القاسم المرسي في وضيفة الكتابة والإنشاء[1]

[1] – فؤاد طوهارة : الهجرة الأندلسية إلى المغرب الوسط ، السياق التاريخي والمجال الجغرافي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة قالمة ، الجزائر،ع15 ، 2015 ، ص172.

4- العلاقة مع دول المشرق الإسلامي

تبادل السلاطين في تلمسان والقاهرة الهدايا فقد بعث السلطان أبو زيان سنة 799هـ /1297 م بالخيول العتاق المنتقاة إلى السلطان برقوق وذلك لما تمتاز به من الشدة والسرعة والصبر على المصاعب ، وبلغ عددها ثلاثون رأسا من الخيل ، كما ترجم السخاوي لمجموعة من العلماء عاشوا في القرن9هـ/15 م بعضهم من تلمسان توافدوا على المدن المصرية والحجاز والعراق وبلاد الشام وأغلب هؤلاء رافقوا القوافل التجارية المتجه نحو المشرق ، كما تذكر الوثائق التابعة للمحاكم الشرعية في الإسكندرية مجموعة من الأفراد من وهران و مستغانم وتلمسان في القرن 10هـ/16م كانوا يزاولون النشاط التجاري بمدينة الإسكندرية وغيرها من مدن دولة المماليك[1].

أصبح المغرب يمثل المكان الآمن للمعارضة والهاربين بأفكارهم من بطش السلطة السياسية في المشرق فوجدوا في المغرب الأمن والراحة والسند فكم من أشخاص قدموا إلى المغرب من المشرق أفرادا عاديين هاربين عادوا إلى المشرق زعماء سياسيين و أصحاب مناصب رفيعة في دول مغربية ناهضت العداء السياسي للحكم في المشرق، ويرجع السند الشعبي المغربي للمعارضة المشرقية إلى سذاجة المغاربة ودهاء المعرضة وسطحية الفكر المغربي للحضارة الإسلامية في بداية عهده فكل هارب ومعارض يستقبلونه ولا يبحثون عن أصله أو فكره فشهاده حسن سلوكه كونه مشرقيا وكفى.[2]

---

[1] – مشرف لخضر : الأهمية الإستراتيجية للمغرب الأوسط على العهد الزياني ،(مذكرة ماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي) ، تحت إشراف : قراوي نادية ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة مولاي الطاهر ، سعيدة ، الجزائر ، 2015، ص54.

[2] – خالدي عبد الحميد : العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين ،دراسة تاريخية نقدية ، (أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي) ، تحت إشراف : حساني مختار، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2008، ص280.

ولقد قامت دول مغربية بإسناد قيادة إدارتها إلى شخصيات مشرقية عملت على فرض أفكارها وآرائها على أبناء المنطقة ، وساهم كتاب وعلماء المشرق في إدارة شؤون الدول المغربية إبان الفترة الوسيطية .[1]

المبحث الرابع : الأهمية الثقافية والاجتماعية لموانئ المغرب الأوسط.

1- ثقافيا : لقد كان للصلات بين المغرب الأوسط ودول ما وراء البحر دور في النهضة الفكرية والثقافية في المغرب الأوسط فللعلاقة بالعدوة الأندلسية عبر الموانئ أثر واضح في النهضة العلمية والثقافية التي شهدها المغرب الأوسط من خلال إسهامات العلماء الوافدين ودورهم في تفعيل الحياة العلمية والفكرية وزاد هذه الحركية العلمية اشتعالا تفاعل أهل المغرب الأوسط الإيجابي معها مع الذين أتوا بها من وراء البحر ينشدون الاستقرار والأمن الذي فقدوه، ويعدون بالمقابل بدفع حركة العلم والثقافة والحضارة فلا عجب إذن أن نرى تهافت الطلبة عليها وعلى دروسهم ومؤلفاتهم القيمة في ظل التنافس السياسي عليهم بين دويلات المغرب ولقد ساعد في هذه النهضة الأرض المستقبلة والنفوس المرحبة والإدارة السياسية المستعدة لتسهيل الإقامة والاستقرار لخدمة هذه البلاد ويمكن إجمال الإسهامات الأندلوسية في تنشيط الحركة العلمية في النقاط التالية.

- احتكروا قطاع التعليم في المغرب الأوسط لاسيما في المدن والحواضر، ونالوا نصيبا في تدريس علوم اللغة والآداب ، والفن والموسيقى ، وبينما كان السكان المحليون مسيطرين بصورة تكاد تكون دائمة على ميدان الشريعة والعلوم الدينية ، كان النجاح حليف الأندلسيين في كافة الميادين الأدبية الخالصة من الخط والنحو إلى البلاغة والشعر والتاريخ والموسيقى ، فساهموا في تجديد طرق التدريس عن طريق المحاورة والمذاكرة وإلقاء الأسئلة.

[1] – الإدريسي أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله (560هـ/1166م): نزهة المشتاق ، المصدر السابق ، ص18.

- انتشار حلقات تدريس العلماء الأندلوسيين في مختلف العلوم وكان ذلك يتم بطبيعة الحال جنب إلى جنب مع علماء المغرب الأوسط مما ولد منافسة علمية كبيرة عادت بالنفع على الحركة العلمية وطلابها بالمغرب الأوسط[1]
- انتشار المؤلفات والكتب التي أحضرها الأندلوسيون معهم أو التي كتبوها على أرض المغرب الأوسط على غرار ما كتبه ابن الآبار وابن عميرة وأبي بكر بن الخطاب
- تولي الأندلوسيين لمناصب دينية وعلمية هامة على غرار القضاء والكتابة والخطابة والإمامة
- الموسوعية العلمية التي سمحت لأعلام الأندلس المهاجرين من الاشتهار بالتدريس والتصنيف والإجادة ليشمل مختلف الفروع العلمية.[2]
- إدخال فن الموسيقى كمؤثر ثقافي أندلسي كما أدخلو آلات موسيقية أندلسية مثل العود والرباب والكمنجة والصنوج والطبيلة والطار والدربوكة وأحيو المواليد والإخوانيات وقصائد المديح والغزل والتشبيب ووصف الطبيعة والرثاء وشعر الحرب.

أما في يخص علاقة المغاربة بالدول الأوربية فقد كان التأثر والتأثير قويا وقد تجلى في شتى الميادين الفكرية والثقافية فقد اهتم الأوربيين بالثقافة الإسلامية وعلومها ولجئوا إلى تعلم اللغة العربية وترجمة المعارف العربية والإسلامية إلى مختلف اللغات لا سيما اللاتينية فهم مقتنعون أن أي تقدم فكري في بلادهم لا يمكن أن يحدث إلا بالاحتكاك بالمسلمين ، رغم أنهم يكنون العداء لهم ، وقد حث على هذا رجال الكنيسة ، حيث أولوا اهتماما خاصا باللغة العربية حيث حملت التجار والعلماء مهمة اعادة المسيحية إلى ربوع المغرب (التبشير) ، وقد كان من نتاج التأثر باللغة العربية ظهور فئة المترجمين التي لعبت دورا مهما في العلاقات التجارية

[1] – سعيدوني ناصر الدين : الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، التجربة الأندلسية بالجزائر ، الرياض ، 1996،ص86.

[2] – طوهارة فؤاد : المرجع السابق ، ص173.

حيث أصبحت العمليات المكتوبة متيسرة بواسطة المترجمين الذين يعملون في الفنادق أو في الموانئ و في الأسواق.[1]

ولقد ظهرت في المغرب بعض المدن والحواضر تضاهي وتشابه مدن الشرق في الهياكل والمؤسسات وكان الهدف الأسمى من بناءها هي أن تكون مقرا للدعوة الإسلامية ومركزا لنشر الإسلام وترسيخ الثقافة والحضارة الإسلامية ومن هذه المدن:

- **بجاية** : وهي من أهم الحواضر المغربية وبخاصة في عصر بني حماد ، حيث بلغت درجة مهمة من التقدم ، وتبوأت مكانة مرموقة بين المعاقل العلمية في المغرب والمشرق ، واحتفظت بهذه المكانة حتى مع نهاية دولة بني حماد ، فقد تميز تاريخ هذه المدينة السياسي والعلمي والعمراني في ظل حكم هؤلاء بالنشاط والتقدم ، حيث أصبحت منارة إشعاع للعلم والمعرفة ، ولذلك استهوت مشاهير العلماء والفقهاء والقضاة والمفتين من الأندلس والمغرب الأدنى وغيرهما فرحلوا إليها واستقروا فيها إذ دامت " في حضارتها وازدهارها إلى أن احتلها الأسبان سنة 915 هـ فتدهورت أحوالها وتراجع عمرانها"[2]، وساعدها على ذلك موقعها الجغرافي ، حيث كانت ملتقى لمفترق الطرق التي تأتي من بلاد الصحراء والمشرق ومن الأندلس عبر المغرب الأقصى . كما كان الطلبة يتزاحمون في القدوم إليها للطلب ولقاء العلماء المقيمين بها. ويذكر أن الإيطاليين أيضا تلقوا العلم في مدينة بجاية ، وتعلموا من مصانعها صنع الشمع الذي لا يزال محتفظا باسم Boujie في لغتهم ، وقد كان الرياضي والمهندس ليوناردو فينشي ت1180م) ممن درس العلوم الرياضية فيها.

وإذا اشتهرت كل مدينة بلون من العلوم فقد كانت بجاية عاصمة الرياضيات ، بدليل أن الأوربيين أخذوا منها الأرقام العربية والجبر وهندسة إقليدس المشهورة .[3]

[1] – حامدي الهدون : المرجع السابق ، ص 400.

[2] – بونار رابح : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981، ص286.

[3] – الجيلالي عبد الرحمن : المرجع السابق ، ج2 ، ص27.

أضف إلى ذلك أنها تمتلئ بالمساجد والزوايا والمدارس ، حتى إن مساجدها كانت تزدحم بعلية العلماء الذين أنجبتهم القلعة والمسيلة وطبنة وأشير ، كما تزخر بمشاهير الأدباء الذين كانوا يتقربون إلى حكام الحماديين لمدحهم رغبة في الأموال والهدايا ، وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على أن لهذه المدينة وزنا كبيرا في جميع النواحي وبالأخص العلمية منها وللعلم لم تنل بجاية هذه الشهرة بعلمائها المحليين فقط ، بل بعلمائها الأجانب الذين كانوا يقصدونها من كل حدب وصوب.

تلمسان :

تعد تلمسان أهم المراكز الثقافية التي شهدها المغرب الأوسط، وكانت تمثل مدينتين أحدهما قديمة تعرف باسم (أقادير) أسسها بنو يفرن من بطون زناتة ، والثانية تعرف بتلمسان الجديدة أسسها يوسف بن تاشفين سنة 473 هـ، وقد عرفت الحركة الفكرية بها نشاطا هاما وأصبحت عاصمة للمرابطين في المغرب الأوسط ، وقد ساعد على نشاط هذه الحركة المسجد الأعظم أو الجامع الكبير الذي تأسس سنة 530 هـ، وعلى هذا بلغت تلمسان مرحلة متقدمة من النضج الثقافي مما جعلها تفرض نفسها بين الحواضر الأخرى، فقد كانت منارة علمية امتد شعاعها إلى جميع الأقطار الإسلامية ، ولذلك رغب الطلبة في الأخذ من ينابيعها الثقافية ، منهم أبو عبد الله محمد المقري (ت 759 هـ) الذي أخذ عن كبار شيوخها لقوله " تفرغت بحول الله عز وجل للقراءة ، فاستوعبت أهل البلد لقاء وأخذت عن بعضهم عرضا ولقاء سواء المقيم القاطن أو الوارد الظاعن"[1]، وعيسى بن أحمد الماساوي (ت 896 هـ) الذي كان شديد الولع بالعلم ، وكثير الأخذ عن شيوخ عصره وهناك غيرهما.

ويذكر أنه في فترة المرابطين كثر الاهتمام في هذه المدينة بالعلوم الدينية ، وبخاصة الفقه لحاجة الحكام إلى الشريعة للحكم العادل بين الناس ولحاجتهم إلى معرفة تعاليم التين وفهمها أيضا.

واحتفظت تلمسان بهذه المكانة حتى في عصر الموحدين ، فقد حظيت بعنايتهم ، وأبقوا عليها مقرا لحكمهم ومركز إشعاع للعلم والمعرفة ، حيث اعتبرها عبد المؤمن أهم المراكز

[1] – ابن الخطيب محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين (ت776هـ/1374): المرجع السابق ، ص194.

الثقافية بفضل المجالس العلمية والمناظرات التي كانت تتم بين العلماء والأدباء وغيرهم . وظلت تستقطب المشاهير من مختلف البلاد العربية والإسلامية حتى في عهد الدولة الزيانية الذي يعد أخصب حقبها خلال القرنين السابع والتاسع الهجريين، حيث ازدهرت فيها عدة علوم وبالأخص الفقه والأصول والمنطق والتعاليم وبرز كبار الشيوخ الذين نشطوا كثيرا.[1]

2- اجتماعيا :

- تأثير في عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط في المأكل والملبس والمتاع فمن بين الأطعمة التي ثبت دخولها المغرب الأوسط نذكر : الملوزة ، البسكوشو ، البسطيلة
- وجود عدد من الألبسة يرجح أنها أندلوسية الأصل رغم اختلاف أسمائها الأندلوسية وتعويضها بأسماء مغربية مثل : البنيقة وهي عبارة عن منديل تضعه النساء على رؤوسهن أثناء الخروج من الحمام . القمصان المطرزة بالحرير والألوان والتي تحمل اسم القمجة ذات الأصل والتسمية الغرناطية[2]
- منحت السلطة في المغرب الأوسط العديد من التسهيلات للتجار الأوربيين والأندلسيون انطلاقا من التسامح الديني الأمر الذي أكسبهم فرص عديدة للتعايش السلمي مع المجتمع المغربي.
- مشاركة المغاربة في العديد من أعياد ومناسبات الأوربيون خلق جو من التلاقح الاجتماعي بين المجتمعين.
- كانت اللغة من أقوى المؤثرات الاجتماعية على الأوربيين نظرا لمكانتها وأهميتها في المعاملات لا سيما التجارية الأمر الذي دفعهم إلى تعلمها وبذل مجهودات جبارة لذلك.

[1] – إبراهيم حركات : مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 هـ/15م، ط1 ، دار رشاد، الدار البيضاء، المغرب ،2000 ، ص33.

[2] – طوهارة فؤاد: المرجع السابق ،ص 173.

- تأثر الأوربيين بالعديد من عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط كان واضحا خاصة فيما يتعلق بمسألة اللباس وطريقة الأكل والاحتفال.[1]

[1] – حامدي الهدون : المرجع السابق ، ص424.

خاتمة

وفي الأخير ومن خلال هذه الدراسة نخلص للنتائج التالية :

- أن الرحلات تعتبر من السمات البارزة في المغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، وقد عرفت هذه الظاهرة تطورات مهمة في هذه الفترة بفعل استقرار العديد من العناصر الأندلسية بالمدن الساحلية بونة وبني مزغنة ووهران وتنس وشرشال وغيرها...
- تشترك رحلات المغاربة في كثير من الدوافع والخصائص وفي مقدمتها الوازع الديني الذي يبدو واضحا من خلال مؤلفاتهم التي برعوا فيها ثم تأتي دوافع أخرى بعده كالرغبة في التحصيل العلمي والدراسة على يد شيوخ وفقهاء كبار وكانت مؤلفاتهم مصادر هامة في أدب الرحلة وكتابة تاريخ المغرب الأوسط.
- أن الموانئ في المغرب الأوسط تمثل همزة وصل بين شمال وجنوب البحر الأبيض المتوسط بحكم موقعها المتميز والمنطلق في نفس الوقت لطرق التجارة والبضائع القادمة من أوربا وغيرها من البلاد المسيحية ومنطلقا للبضائع الصحراوية خاصة الذهب والعبيد .
- توجيه سياسة الدول من خلال السيطرة على الواجهة البحرية عن طريق موانئها خاصة بجاية وبونة وهنين ووهران ومستغانم وبرشك والمرسى الكبير وميناء جزائر بني مزغنة ، من خلال وجود خطوط بحرية تربطها ببقية المدن الساحلية في المغربين الأقصى والأدنى إضافة إلى الأندلس ، زيادة على الخطوط التي تربطها بموانئ جنوب غرب أوربا.
- كان لموانئ المغرب الأوسط حيوية تجارية من خلال الصادرات والواردات فقد صدر الذهب والعبيد والخيول والشمع والصوف والجلود وزيت الزيتون في حين استورد التوابل والمواد النسيجية والسفن والأسلحة والقمح في حالات معينة والحلي.
- يتضح من خلال هذه الدراسة بأن المغرب الأوسط نشط عدة علاقات تجارية مع كل من الأندلسيين و الإيطاليين وجنوب فرنسا وغيرها من الدول المسيحية
- كان للموانئ تأثير سياسي من خلال ربط العلاقات وتبادل الهدايا والسفراء بين ضفتي البحر المتوسط وانتشار ظاهرة القرصنة.
- وفود العديد من العلماء من المشرق والأندلس وتولي مناصب مهمة في الدولة وتقديم حلقات الدروس
- التأثير الثقافي للتجار أو العلماء من خلال اللغة والمذاهب الدينية وطريقة التدريس وبناء الحواضر العلمية كبجاية وتلمسان.
- التأثير الاجتماعي من خلال التداخل بين العناصر الوافد وشعوب المنطقة والتأثير من خلال المأكل والملبس والعادات والتقاليد.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم برواية ورش عن نافع

- **كتب الحديث :**

1- النووي محي الدين يحي بن شرف (676هـ) : رياض الصلحين من حديث سيد المرسلين، تح(علي بن حسين الحلبي الأثري) ، ط1 ، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع ، السعودية ، 1421هـ.

- **أولا: المصادر**

أ-كتب الجغرافيا:

1- الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ت 560هـ/1166م): القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح(إسماعيل العربي) ،ط3 ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1983 .

2- ــــــــــــــ،ــــــــــــــــــــــــــــــــ: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة ، مصر، 2002 .

3- الإصطخري (أبو القاسم محمد بن إبراهيم ت340هـ/951م) : المسالك والممالك ، تح(محمد جابر عبد العال الحيني ومحمد شفيق غربال) ، دار القلم ، القاهرة ، (د ت) .

4- البكري(أبو عبيد الله بن عبد الله بن عبد العزيز ت487هـ/1094م): المسالك والممالك، (الجزء الخاص ببلاد المغرب)، تح(زينب الهكاري) ، (د ط)، مطبعة الرباط نات، المغرب،2012،ج2.

5- ــــــــــــــ،ــــــــــــــــــــــــــــــــ: المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب ، مكتبة المثنى ، بغداد ، العراق ، (د ت) .

6- الحموي(أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت ت626هـ/1229م): معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ،1977،ج1.

7- ابن حوقل (أبو القاسم محمد بن علي الموصلي ت367هـ/977م) : صورة الأرض،(د ط)، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م.

8- الزهري (أبو عبد الله محمد بن أبي بكر كان حيا سنة ت541هـ/1154م): كتاب الجغرافيا ، تحقيق محمد صادق ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، (د ت) .

9- ابن سعيد المغربي أبي الحسن علي بن موسى بن عبد الملك (ت 685هـ/1285م): الجغرافيا ، تح (إسماعيل العربي) ط2، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1982 .

ب- كتب الرحلات والتاريخ العام:

1- ابن بطوطة (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن إبراهيم اللواتي ت770هـ/1368م): تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار، ط1، مؤسسة الحسني ، الدار البيضاء ، المغرب ،2006.

2- الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم الصنهاجي ت 727هـ/ 1327م): الروض المعطار في خير الأقطار تح(إحسان عباس) ،ط2، مكتبة لبنان ، لبنان .

3- ابن الخطيب (محمد بن عبد الله بن سعيد لسان الدين ت776هـ/1374): الاحاطة في أخبار غرناطة ، تح(عبد الله عدنان) ، مكنبة الخانجي القاهرة ،(د ت)،ج2.

4- ابن خلدون عبد الرحمن(أبو زيد يحي بن محمد الحضرمي ت808هـ/1504م): العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1983،ج6،ج7

5- ـــــــــــــ،ـــــــــــــ: المقدمة، تح(محمد الاسكندراني) ، ط1، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 2006 .

6- العبدري (أبو عبد الله البلنسي ت 720هـ/1320م) : الرحلة المغربية ، تح: علي إبراهيم كردي،ط1، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع (د م ن) 1426هـ/ 2005م.

7- ابن عذارى (أبو العباس أحمد بن محمد المراكشي كان حيا سنة 712هـ/1312م): البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب ، تح : ج س كولان و إ بروقنسال ،ج1 ، دار الثقافة ،بيروت ، لبنان ، ج2

8- مجهول المؤلف(كان حيا سنة 587هـ/1191م): الاستبصار في عجائب الأمصار، تح(سعد زغلول عبد الحميد) ، وزارة الشؤون الثقافية العامة ، آفاق عربية ، بغداد (د ت) .

9- المراكشي عبد الواحد(عبد الواحد بن علي التميمي محي الدين ت647هـ/1249م): المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1998 .

10- المقري التلمساني (أبو العباس أحمد بن محمد ت1041هـ/1632م): نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ،تح(إحسان عباس) ، دار صادر ، بيروت ، 1968،ج2.

11- الوزان حسن(محمد بن الوزان الفاسي ت957هـ/1550م): وصف إفريقيا، تر (محمد حجي و محمد الأخضر)، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1983م،ج2.

ت- القواميس المصدرية :

1- الزبيدي مرتضى (بن محمد بن محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسيني ت 1205هـ/1790م): تاج العروس من جواهر القاموس، تح حسين الناصر، (د ط) ، مطبعة حكومة، الكويت، 1968م،ج6.

2- الزركشي (خير الدين بن محمود بن محمد بن فارس ت1336هـ/1917): الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م،ج1.

3- ابن سلام : كتاب النسب ، مريم محمد خير الدرع ، دار الفكر ، بيروت ، 1989 .

4- السيوطي (جلال الدين بن همام الدين الأسيوطي ت911هـ): بغية الوعاء في طبقات اللغويين والنحاة ، تح:محمد أبو الفضل ،ط2، دار الفكر ، بيروت ، لبنان ، 1979،ج2.

5- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين الإفريقي التونسي ت71هـ/1311م) : لسان العرب ، مج11، دار بيروت للطباعة والنشر ، د ت.

ثانيا : المراجع

1- أحمد رمضان أحمد : الرحلة والرحالة المسلمون ، (د ط) ، دار البيان العربي للطباعة والنشر والتوزيع ، جدة ، السعودية ،(د ت).

2- أنساعد سميرة: الرحلة إلى المشرق في الأدب الجزائري، (د ط)، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر،2009.

3- الأنصاري محمد جابر : التفاعل الثقافي بين المغرب والمشرق في آثار ابن سعيد ورحلاته المشرقية وتحولات عصره ، ط1، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان، 1992.

4- بشاري لطيفة : العلاقات التجارية للمغرب الأوسط في عهد إمارة بني عبد الواد من القرن (7-10هـ/13-16م)، منشورات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف(د ت)

5- بلغيث محمد الأمين: نظرات في تاريخ الغرب الإسلامي ، دار الخلدونية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 2007 .

6- بوعزيز يحي : الموجز في تاريخ الجزائر القديمة والوسيطية ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر، 2009،

7- بونار رابح : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، 1981.

8- الجعماطي عبد السلام : النقل والمواصلات بالأندلس خلال عصري الخلافة والطوائف (316هـ-483م) ،ط1، دار الأمان ، الرباط ، المغرب ،2010.

9- ــــــــــ،ــــــــــ: دراسات في تاريخ الملاحة البحرية وعلوم البحار بالمغرب الإسلامي، ط1 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، 2012 .

10- الجيلالي عبد الرحمن: تاريخ الجزائر العام ، ج2، شركة دار الأمة ، الجزائر ، 2009.

11- حركات إبراهيم : مدخل إلى تاريخ العلوم بالمغرب المسلم حتى القرن 9 هـ/15م، ط1 ، دار رشاد، الدار البيضاء، المغرب ،2000.

12- حسن زكي محمد : الرحالة المسلمون في العصور الوسطى ، دار الرائد العربي، (د ط) ، بيروت ، لبنان ، 1981.

13- حسني حسين محمود: أدب الرحلة عند العرب ، ط2 ، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع (د م ن) ، 1983.

14- حليمي عبد القادر : جغرافية الجزائر، المطبعة العربية ، الجزائر ، 1968.

15- السبتي عبد الواحد : الإسطوغرافيا والأزمة (دراسات في الكتابة التاريخية والثقافية) ، ط1 ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، 1994.

16- سعد الله أبو القاسم: تاريخ الجزائر الثقافي من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر (16-20م) ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1981.

17- سعيدوني ناصر الدين : الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات ، التجربة الأندلسية بالجزائر ، الرياض ، 1996.

18- الشاهدي الحسن: أدب الرحلة في المغرب في العصر المريني ، منشورات عكاظ ، 1990،ج1.

19- الشنواني أحمد محمد : موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام ، ط1، دار الزمان للنشر والتوزيع ، المدينة المنورة ، السعودية ، 2007/1428 .

20- الشوابكة نوال عبد الرحمان : أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري، ط1 ، دار المأمون للنشر والتوزيع ، الأردن ، 2007.

21- شوقي ضيف: الرحلات، ط4، دار المعارف، كورنيش النيل، القاهرة،(د ت) .

22- ابن عثمان : القدس و الخليل في الرحلات المغربية، دط، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية و العلوم و الثقافة، السعودية، 1997م، ص ص 12 13.

23- العربي إسماعيل: المدن المغربية ، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، (د ت).

24- عزيز أحمد : تاريخ صقلية الإسلامية ، تر: أمين توفيق الطيبي ، (د ط) ، الدار العربية للكتاب ، (د ب ن) ، 1980.

25- فهيم حسين محمد: أدب الرحلات ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ،1989.

26- فيلالي عبد العزيز: العلاقات السياسية بين الدولة في الأندلس والمغرب ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع ، الجزائر ،2007.

27- ابن قربة صالح: تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1945، سلسلة المشاريع الوطنية للبحث، طبعة خاصة وزارة المجاهدين، الجزائر، 2007م.

28- قنديل فؤاد: أدب الرحلة في التراث العربي ، (د ط) ، مكتبة الدار العربية للكتاب ،(د م ن) ، 2002.

29- كردي علي إبراهيم : أدب الرحل في المغرب والأندلس ،(د ط)، الهيئة العامة السورية للكتاب ، دمشق، سورية ، 2013.

30- الميلي مبارك: تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تص(محمد الميلي) ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989.

31- نصار حسين : أدب الرحلة ، ط1 ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان ، (د م ن)، 1991.

32- نواب عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين دراسة تحليلية نقدية مقارنة ، مكتبة الملك فهد الوطنية ، الرياض ، 1996.

33- الهادي روجي إدريس : الدولة الصنهاجية (تاريخ إفريقية في عهد بني زيريمن القرن 10إلى 12م) ، تر(حمادي الساحلي) دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1992، ج2.

34- هوارد: أشهر الرحلات إلى غرب إفريقيا،ج1، دط، دار الكتب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، 1996م [1]

ثالثا : المذكرات والأطروحات :

1- بورقبة مريم : " أدب الرحلة عند محمد الخضر حسين (الرحلة الجزائرية) أنموذجا " (مذكرة ماستر في اللغة والأدب العربي) ، تحت إشراف: قوراري سليمان ، قسم اللغة والأدب ،جامعة أدرار ، 2013/1434 .

2- بورملة خديجة : التجارة الخارجية للمغرب الأوسط في حوض البحر المتوسط من القرن السادس إلى السابع الهجري ،15/12م ، (أطروحة دكتوراه في علوم التاريخ الوسيط) ، إشراف : عبد القادر بوباية ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، كلية العلوم الإنسانية والإسلامية ، جامعة وهران ، 2018/2017.

3- حامدي الهدون: العلاقات الحضارية بين المغرب الأوسط والجمهوريات الإيطالية من القرن 6هـ-12م حتى القرن 10هـ-16م ،(أطروحة دكتوراه ل م د في التاريخ الحضاري للمغرب الأوسط)، تحت إشراف بن داود نصر الدين ، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الإجتماعية ، جامعة أبي بكر بالقايد ، تلمسان، الجزائر ، 2019.

4- خالدي عبد الحميد: العلاقات الثقافية بين المشرق والمغرب الأوسط من الفتح إلى نهاية الموحدين ،دراسة تاريخية نقدية ، (أطروحة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي) ، تحت إشراف : حساني مختار، قسم التاريخ ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الجزائر ، 2008.

5- خلوط أسماء : الموانئ ودورها في تنشيط الملاحة البحرية والحركة التجارية بين المغرب الأوسط والأندلس (ق3- 6هـ/10-12م) كلية العلوم الاجتماعية – جامعة ابن خلدون ، تيارت ، الجزائر.

6- ذباح نجية ، فطيمة بومسلي : الموانئ الزيانية ودورها الاقتصادي،(مذكرة ماستر في التاريخ الوسيط) تحت إشراف (حمزة عبد الصمد)، قسم التاريخ ،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة الدكتور يحي فارس ، المدية ، الجزائر ، 2016/2015.

7- شرقي وردة : مدينة وهران في العصر الوسيط (290-915 هـ/902-1509م) ، (مذكرة ماجستير في التاريخ تخصص المدينة والحياة الحضرية في الغرب الإسلامي) تحت إشراف : عبد العزيز فيلالي ، قسم التاريخ ، كلية الآداب والحضارة الإسلامية ، جامعة الأمير عبد القادر للحضارة الإسلامية ، قسنطينة ، الجزائر ، 2013.

8- عدلي محمد علي : أوضاع الأسطول الإسلامي في المغرب خلال القرنين الخامس و السادس الهجريين ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ، كلية الآداب ،جامعة اليرموك ، العراق ، 1998.

9- عشي علي : التوجه البحري للمغرب الأوسط ،وأثره على التجارة والمواصلات ،(2- 10 هـ/8-16م) ، (أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط) تحت إشراف : مسعود مزهودي ، قسم التاريخ وعلم الآثار ، جامعة باتنة ، 2017/2016.

10-علوي مصطفى :" تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة والأندلسيين من القرن السابع الهجري إلى القرن التاسع الهجري (13-15م) "،(أطروحة دكتوراه في تاريخ المغرب الإسلامي الوسيط)، تحت إشراف :بلعربي خالد ، قسم التاريخ ، جامعة الجيلالي ليابس ، سيدي بلعباس،1435هـ/2014م.

11-محمد أحمد المغربي ريحاب محمد كمال: التجارة في عصر بني حماد ، بحث مقدم، إشراف (البيومي إسماعيل الشربيني ، علاء طه رزق حسين)، قسم التاريخ ، كلية الآداب ، جامعة دمياط ،مصر،2015.

12- مشرف لخضر: الأهمية الإستراتيجية للمغرب الأوسط على العهد الزياني ،(مذكرة ماستر تخصص تاريخ وحضارة المغرب الإسلامي) ، تحت إشراف : قراوي نادية ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية ، جامعة مولاي الطاهر ، سعيدة ، الجزائر.

13- مناصري هناء ، بن ساحة حبيبة : ميناء بجاية في عهد الحماديين والموحدين (458-668 هـ/1065-1269م)،(مذكرة ماستر تخصص دراسات في تاريخ وحضارة العصر الوسيط)، تحت إشراف : موسى هيصام ، قسم العلوم الإنسانية ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة يحي فارس ، المدية ، الجزائر، 2018.

14- نهاية فؤاد ، فريد مسعود: المغرب والأندلس في كتابات الجغرافيين المسلمين خلال القرن السابع الهجري الثالث عشر الميلادي، (مذكرة ماجستير في التاريخ) ، تحت إشراف: عامر القبج ، جامعة النجاح الوطنية ، كلية الدراسات العليا ، نابلس ، فلسطين ، 2018.

رابعا : المجلات والدوريات

1- حاج فطيمة فتيحة: القيمة التاريخية لكتب الرحلات رحلة ابن جبير والطهطاوي أنموذجا ، مجلة العبر للدراسات التاريخية ،ع2 ، جانفي 2019 ، جامعة يحي فارس ، المدية ، الجزائر.

2- حسن علي: الحضارة الإسلامية في المغرب والأندلس ،ط1 مكتبة الخانجي، القاهرة ، مصر

3- صاري جيلالي : أضواء على أحد موانئ دولة بني زيان (هنين) ، مجلة التاريخ ، المركز الوطني للدراسات التاريخية ، الجزائر ،ع12 ،1986.

4- طوهارة فؤاد : الهجرة الأندلسية إلى المغرب الوسط ، السياق التاريخي والمجال الجغرافي ، مجلة حوليات التراث ، جامعة قالمة ، الجزائر،ع15 ، 2015.

5- عشي علي : دور الصناعة البحرية في المغرب الأوسط بين البحث الأثري والتقصي، مجلة المعارف للبحوث والدراسات (مجلة دورية دولية محكمة) ، قسم التاريخ وعلم الآثار، جامعة الحاج لخضر "باتنة 1" ،ع17.

6- مزرودي فاتح : مظاهر العلاقات السياسية الزيانية مع الأندلس والغرب المسيحي ، مجلة دراسات وأبحاث المجلة العربية للأبحاث والدراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية ، جامعة البليدة ، الجزائر ، مج12، ع1، 2019.

7- ميلودي زهرة : الرحلات البحرية ودور اليهود في تنشيط التجارة الساحلية للمغرب الأوسط خلال العصر الوسيط ، المجلة الجزائرية للبحوث والدراسات التاريخية المتوسطية ،ع3، جوان 2016.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

مقدمـــــــة.....أ ب ج د

الفصل التمهيدي : المغرب الأوسط بين الكتابة الجغرافية والكتابة التاريخية.

أ- المغرب الأوسط في الكتابات الجغرافية 6

ب- المغرب الأوسط في الكتابة التاريخية 9

ج- خصائص ومميزات الشريط الساحلي للمغرب الأوسط.....12

الفصل الأول: الرحلة والرحالة في المغرب الأوسط

مفهوم الرحلة 18

أ- الرحلة في القرآن الكريم و السنة النبوية.....18

ب- الرحلة في اللغة 19

ج- الرحلة في الاصطلاح..... 20

الرحلة عند المغاربة وبواعثها

أ-الرحلة عند المغاربة.....20

ب-بواعث الرحلة 23

أنواع الرحلة وخصائصها وقيمتها 25

أ- أنواع الرحلة.....25

ب- قيمة الرحلات المغاربية 27

ج- خصائصها.....28

الرحالة المغاربة ومؤلفاتهم 28

الفصل الثاني نشأة موانئ المغرب الأوسط في ضل كتب الرحالة

1- موانئ المغرب الأوسط 39

أ- ميناء بجاية 39

ب-ميناء برشك 40

ت-ميناء بونة 41
ث- ميناء تنس 43
ج-ميناء جزائر بني مزغنة 44
ح- ميناء شرشال 46
خ- ميناء مستغانم 47
د- ميناء هنين 49
ذ- ميناء وهران و المرسى الكبير.....50
2- أصناف الموانئ وأساليب الإبحار.....52
أ- أصناف الموانئ.....52
ب- أساليب وتقنيات الملاحة البحرية.....53
3- المراكب والسفن أنواعها ودور صناعتها.....55
أ-أنواع المراكب و السفن.....55
ب- دور الصناعة في المغرب الأوسط.....57
الفصل الثالث: الأهمية الحضرية للموانئ في المغرب الأوسط
الأهمية التجارية للموانئ في المغرب الأوسط 63
1- الطرق البحرية 63
2- صادرات و واردات المغرب الأوسط.....67
الأهمية العسكرية لموانئ المغرب الأوسط 72
الأهمية السياسية لموانئ المغرب الأوسط.....77
الأهمية الثقافية والاجتماعية لموانئ المغرب الأوسط.....81
خاتمة 88
قائمة المصادر والمراجع 90
فهرس المحتويات 99

بسم الله
الرحمن الرحيم